الشُّعُورُ بِوَطْأَةِ الذُّنُوبِ
فِي الشِّعْرِ الأَنْدَلُسِيِّ

د . مروة شحاته محمود الشقرفي

أستاذ الأدب الأندلسي المساعد

قسم اللغة العربية وآدابها

كلية الآداب - جامعة دمنهور

الشُّعُورُ بِوَطْأَةِ الذُّنُوبِ فِي الشِّعْرِ الأَنْدَلُسِيِّ

مروة شحاته محمود الشقرفي
أستاذ الأدب الأندلسي المساعد قسم اللغة العربية وآدابها- كلية الآداب - جامعة دمنهور- جمهورية مصر العربية.
البريد الإلكتروني: marwa.mahmoud@art.dmu.edu.eg

المُلَخَّص: يَهْدِفُ هذا البحثُ إلى تَقَصِّي أثر الشُّعُور بِوَطْأَةِ الذُّنُوبِ فِي الشِّعْرِ الأَنْدَلُسِيِّ من منظور دينيّ نفسيّ اجتماعيّ فلسفيّ، ويُعْنَى بِرَصْدِ الشُّعُور بالذَّنْبِ المُزْمِن الناتج من التقصير في الالتزام الدينيّ، بوصفه مَلْمَحًا بارزًا تَجَلَّى – بوضوحٍ – لدى شعراء الأَنْدَلُس، وكان له كبيرُ الأَثَرِ في سُلُوكِهِم وشِعْرِهِمْ .

ويُبْرِزُ الحالة الانفعاليَّة التي تَسْتَبِدُّ بالشاعر الأندلسيّ، والصراع النفسيّ الذي يعيشه، إِثْرَ خَرْقِ أَمْر دِينِيّ، بين رغبات نفسه في حالة النَّدَم ومُرَاجَعَة النَّفْس، وحالة اللامُبَالاة عندما تَتَمَلَّكَهُ شَهَوَاتُهُ .

إِنَّ الشُّعُورَ بالذَّنْبِ من العواطف الأخلاقيَّة المُرَكَّبَة، وهو إحساسٌ مُؤْلِمٌ نابعٌ من تَجْرِبة شخصيَّة تَرْتَبِطُ بِضَمِيرِ الفَرْدِ، وقد عَدَّه الأطباءُ النَّفْسِيُّونَ من الاضطرابات النفسيَّة، وأكدوا أنه يؤدي إلى سُوء التَّكَيُّف، الذي يُعَبَّرُ عنه بأَعْرَاضٍ نفسيَّة مَرَضِيَّة مُصَاحِبَة .

لقد جَعَلَ شعراءُ الأندلسِ عِبْءَ الذنوبِ مجالاً للتفكُّر في حقيقة الحياة، ورَصَدُوا سَنَوَاتِ العُمْرِ، وتَحَسَّرُوا عَلَى ذَهَابِ الشَّبَابِ، وانْتَظَرُوا قُدُومَ المَوتِ .

وقد تَجَلَّى الشُّعُورُ بِوَطْأَةِ الذُّنُوبِ في قصائد المديح النبويّ الأندلسيَّة على نحوٍ خاصّ، ثُمَّ في قصائد الزهد، ورِثَاء النفس .

وقد تَضَمَّنَ البحثُ تمهيدًا وأربعة مباحث وخاتمة، ورَصَدَ التمهيد : مفهوم الشُّعُور بالذَّنْبِ، والنَّظَرِيَّاتُ المُفَسِّرَة للشُّعُور بالذَّنْبِ، وتناول المَبْحَثُ الأَوَّلُ : الخِبْرَة المُسَبِّبَة لِلشُّعُور بِوَطْأَةِ الذُّنُوبِ، وعَرَضَ المَبْحَثُ الثَّانِي :

مُؤَشِّرَات الشُّعُور بِوَطْأَةِ الذُّنُوبِ، ورَصَدَ المَبْحَثُ الثَّالِثُ : آثَار الوُقُوعِ فِي الذَّنْبِ، وعَالَجَ المَبْحَثُ الرَّابِعُ : وَسَائِل تَخْفِيفِ مُسْتَوَى الشُّعُورِ بِالذَّنْبِ .

وقد أثبت البحثُ أَنَّ مَا نَزَل بالأندلس وأهلِها مِنْ بَلاءٍ ومِحَنٍ رَاجِعٌ إلى اقْتِرَافِ الذُّنُوب .

وقد اعْتَمَدْتُ على المنهج الوصفيّ ؛ لتوضيح ما في النصوص الشِّعْرِيَّة مِنْ قِيَم جماليَّة، واسْتَعَنْتُ كذلك بالمنهج النفسيّ .

الكَلِمَاتُ المِفْتَاحِيَّة : الشُّعُورُ بِالذَّنْبِ، الشِّعْرُ الأَنْدَلُسِيُّ، المَدَائِحُ النَّبَوِيَّةُ .

feeling the brunt of sins in Andalusian poetry

Marwa Shehata Mahmoud Elshoukrofy
Assistant Professor of Andalusian Literature, Department of Arabic Language and Literature, Faculty of Arts, Damanhour University
Email: marwa.mahmoud@art.dmu.edu.eg

Abstract:This research aims to investigate the impact of the feeling of sin in Andalusian poetry from a socio-philosophical socio-psychological religious perspective, and is concerned with monitoring the chronic guilt resulting from the failure of religious commitment, as a clearly visible feature of andalusian poets, and has had a significant impact on their behavior and poetry.

It highlights the emotional situation that the Andalusian poet is in, and the psychological conflict he is experiencing, following the breach of a religious order, between the desires of himself in the state of remorse and self-revision, and the state of indifference when he has his desires .

The guilt of complex moral emotions, a painful feeling stemming from a personal experience associated with the conscience of the individual, has been prepared by psychiatrists as one of the mental disorders, and confirmed that it leads to maladaptation, which is expressed by accompanying psychiatric symptoms.

The poets of Andalusia have made the burden of sins a room to think about the reality of life, observe the years of life, feel the youth go, and wait for death to come.

The feeling of sin was manifested in the Andalusian prophetic praise poems in particular, and then in the poems of asceticism and self-inheritance.

The research included a prelude, four investigations and a conclusion, and the monitoring of the boot: the concept of guilt, the interpreted theories of guilt, the first topic: the experience causing the feeling of the burden of sins, the presentation of the second research: indicators of

feeling the weight of sins, the monitoring of the third thesis: the effects of falling in guilt, and the treatment of the fourth thesis: means of reducing the level of guilt.

The research has shown that all the afflictions and tribulations that have happened in Andalusia and its people are due to the commission of sins.

It has relied on the descriptive approach to clarify the aesthetic values of the poetic texts, and has also used the psychological approach.

Key words: The Feeling of guilt, Andalusian poetry, Prophetic praises.

مُقَدِّمَة

الشُّعُورُ بالذَّنْبِ إحساسٌ أليم يُسَيطِرُ عَلَى الفَرْدِ، ويَصْعُبُ التَّخَلُّصُ مِنْهُ، إنه مِنَ المَشَاعِرِ التي تُسَبِّبَ سُوء تَوَافُق في الصِّحَّة النفسيَّة، بوصفها رَدَّ فِعْلٍ انفعاليّ لِمَا يَشْعُرُ به الفَرْدُ عند ارتكابه الذَّنْب، أو عدم مُرَاعَاته المعايير الدينيَّة، أو الأخلاقيَّة، أو الاجتماعيَّة المُتَّفَق عليها .

وتُسَبِّبُ مَشَاعِرُ الذَّنْبَ كَثِيرًا مِنَ المَتَاعِب لِلفَرْدِ الذي يُعَانِي مِنْهَا، وتُؤَدِّي إلي ضياع الوقت والجهد ؛ حيثُ يَشْعُرُ المُذْنِبُ بالانزعاج، وهو يرتكب هذه الأعمال ؛ فَإِذَا تَغَلَّبَتْ قُوَى الخير في نفسه على قُوَى الشرّ، نَدِمَ عَلَى ما سَلَفَ مِنْهُ ؛ ومِنْ ثَمَّ يقوم بمُحَاسَبَةِ نَفْسِهِ .

ويَشْعُرُ الإنسانُ السَّوِيُّ بالذَّنْبِ – بِدَرَجَاتٍ مُتَفَاوِتَة – تَتَنَاسَبُ مَعَ المُثِيراتِ والأَسْبَابِ، ويُعَدُّ ذَلِكَ الشُّعُورُ ضرورة تهذيبيَّة ؛ كي يُقْلِعَ عن الإثم ؛ فإنَّ التفسير الشخصيّ الذي يُلْحِقُهُ الفَرْدُ بالأفعال التي ارتكبها هو مصدر شُعُوره بِالذَّنْب، الذي يُنَغِّصُ عليه عَيشَهُ ؛ فنراه حَزِينًا في كل أحواله ؛ لذا يسعى لِعِقَابِ نَفْسِه عَلَى وَفْق ثَقَافَتِهِ .

ويَضُمُّ الشُّعُورُ بِالذَّنْبِ مَشَاعِرَ مُتَعَدِّدَة، تستند إلى مَدْلُولات مُتَشَابِهَة ؛ فالخوف والحُزْن والخِزْي والنَّدَم مُؤَشِّرَات تَدُلُّ على الشُّعُورِ بالذَّنْبِ .

والاستجابةُ المُتَوَقَّعة للشُّعُور بِالذَّنْبِ هي : الاعتراف بالذنب، والسعي للتَّوبَة ؛ حيثُ يَعُودُ المَرْءُ إلى رُشْدِهِ وصَوَابِهِ، ويتَحَرَّرُ مِنَ الوَهْمِ الزَّائِف الذي كثيرًا ما خدعه، وزَيَّنَ له الباطل .

إنَّ الذُّنُوبَ دَاءٌ يُشْتَكَى مِنْهُ، وعِلَّةٌ يُرْجَى لها الشِّفَاءُ ؛ بصفتها حِجَابًا كثيفًا على القَلْبِ، يؤدي إلى الحُزْن المَصْحُوب بالأنين .

ولا بُدَّ مِنْ ابتغاء رضا الله في الأفعال كافَّة ؛ للوقاية من مشاعر الذَّنْبِ، وينبغي للعاقل أَنْ يَتَزَوَّدَ بِزَادٍ وَفِير من التَّقْوَى لِيَومِ مَعَادِهِ، ويَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَفُكَّ عنه قُيُودَ الذُّنُوبِ ؛ لأنَّ طَهَارَةَ النَّفْس وتزكيتها من المَقَاصِدِ العُلْيَا .

إِنَّ مَصْلَحَةَ العَبْدِ فِي طَاعَةِ الرَّبِّ، وعلى المُذْنِبِ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ رُكَامِ الذُّنُوبِ، بِقُوَّةِ الوَازِعِ الدينيّ ؛ لِيُحَقِّقَ حَيَاةَ القَلْبِ مِنْ جديد ؛ فيَتَحَرَّر – عندئذٍ – من الشعور الدَّائِم بالذَّنْبِ ؛ فَإِنَّ القَابِضَ على دِينِهِ كَالقَابِضِ عَلَى الجَمْر، والفوز بالجَنَّةِ العالية لِمَنْ لمْ يَأْلُ في الخير جُهْدًا .

أَهْدَافُ البَحْثِ :

التعرُّف إِلَى مَدَى وُجُود عاطفة الشُّعُور بالذَّنْبِ، بوصفها سِمَة وِجْدَانية مُزْمِنَة، لدى شعراء الأندلس، وإبراز الخِبْرَة المُسَبِّبَة لها، وعَرْض مبلغ تأثيرها في المُذْنِب، ورَصْد علاقتها بأَعْرَاض نَفْسِيَّة أُخْرَى، وبيان آثار الوقوع في الذَّنْبِ، والإرشاد إلى وَسَائِل تَخْفِيف مُسْتَوى الشُّعُور بالذَّنْبِ .

مَنْهَجُ البَحْثِ :

اعْتَمَدْتُ على المنهج الوصفيّ ؛ لتوضيح ما في النصوص الشعريَّة من قيم جماليَّة، واسْتَعَنْتُ كذلك بالمنهج النفسيّ .

وقد تَضَمَّنَ البحثُ تمهيدًا وأربعة مباحث وخاتمة، ورَصَدَ التمهيد : مفهوم الشُّعُور بالذَّنْبِ، والنَّظَرِيَّاتُ المُفَسِّرَة للشُّعُور بالذَّنْبِ، وتناول المَبْحَثُ الأَوَّلُ : الخِبْرَة المُسَبِّبَة لِلشُّعُور بِوَطْأَةِ الذُّنُوبِ، وعَرَضَ المَبْحَثُ الثَّانِي : مُؤَشِّرَات الشُّعُور بِوَطْأَةِ الذُّنُوبِ، ورَصَدَ المَبْحَثُ الثَّالِثُ : آثَار الوُقُوعِ فِي الذَّنْبِ، وعَالَجَ المَبْحَثُ الرَّابِعُ : وَسَائِل تَخْفِيفِ مُسْتَوَى الشُّعُورِ بِالذَّنْبِ .

تَمْهِيدُ

الشُّعُورُ بالذَّنْبِ حالة انفعاليَّة داخليَّة يَشْعُرُ بها الفَرْدُ لارتكابه فعلاً غير لائق، على الرغم مِنْ أَنَّ الآخرينَ لم يُلاحِظُوا ذلك، ويحتفظ بهذا الشُّعُور داخليًّا دُونَ عِلْمِ الآخرينَ ؛ فهو مهمومٌ – دائمًا – لِمَا فَعَلَهُ، آسِفٌ على ما ارتكبه مِنْ إِثْم [١] .

وقد وَازَنَ الإِسْلامُ بين مَلَكَة القِيَم (التقوى – الثواب)، ومَلَكَة الشَّهَوَات (الفُجُور – العِقَاب) في النَّفْسِ البَشَرِيَّةِ ؛ بُغْيَةَ تَرْجِيحِ كِفَّةِ الفطْرَةِ الإنسانيَّةِ القويمةِ .

والواقعُ أَنَّ المُذْنِبَ كالأعمى، يَتِيهُ فِي الظُّلُمَات، ولا يُبْصِرُ الحَقَّ ؛ لأَنَّ المَعْصِيَةَ ظُلْمَةٌ، تُورِثُ الذُّلَّ، وتُوجِبُ الشَّقَاءَ، وتُوقِعُ فِي الوَحْشَةِ، وتُفْسِدُ العَقْلَ، وتُذْهِبُ الحَيَاءَ، وتؤدي إلى : زَوَال النِّعْمَة، ونُزُول النِّقْمَة، وسَواد الوَجْه، وسَخَط اللهِ (ﷻ)، وضِيق الرِّزْق، ومَحْق البَرَكة، وضَعْف البَدَن، وقسوة القلب، وفساد الأصدقاء، وشماتة الأعداء، ونَقْص العِلْم، وبُغْض الخَلْق، وضَنْك العيش، ورَدّ الدُّعَاء، وحُبّ العَاجِلَةِ، واسْتِيلاء الشَّهْوَةِ، وخَيبَة الرَّجَاء، وسُوء الخَاتِمَة .

وقد اعترف **الغَزَّال** (ت٢٥٥هـ) بأن مِنْ نِعَمِ اللهِ علينا أنه يَسْتُرُ الذُّنُوبَ؛ لأَنَّهَا عُيُوبٌ ينبغي للمرءِ سَتْرُها ؛ ولو ظَهَرَتْ لَهَرَبَ النَّاسُ وانفردوا بالصَّحَارِي، وضاق البَلَدُ الفَسِيحُ لِتَنْنِ الذُّنُوبِ [٢]، وجَعَلَ **السُّمَيسِر الإلبيريّ** (ت بعد ٤٨٨هـ) الأغذيَةَ، التي تَضُرُّ الجِسْمَ، مِثْلَ الذُّنُوبِ التي تُؤذِي الرُّوح وتُضْعِف الجِسْم [٣] .

وهَجَا **أبو أحمد عبد العزيز بن خِيَرَة القُرْطُبِيّ المعروف بالمنفتل** حَمْدَان بْن يَحْيَي، صاحب لَبْلَة (Niebla)، وقال إنه يُشْبِهُ – في قُبْحِ مَنْظَرِهِ – خُدَّام نَار جَهَنَّم، وقد لَحِقَ به العَذَابُ الوَخِيمُ ؛ لأنه أَصَرَّ عَلَى رُكُوبِ الذَّنْبِ، وأَكْلِ الحَرَامِ ؛ فَنَزَل بِهِ البَلاء، وتَسَاقَطَ شَعْرُهُ، كالكَلْبِ الذي سَقَطَ شَعْرُهُ مِنْ كَثْرَةِ لَعْقِ الدَّمِ [٤] .

وصَرَّحَ **أبو مُحَمَّد عبد الله بن سَعْد اللَّحَّام** (ت٣٣٢هـ) بأنه لا يَشْعُرُ بِمَا فِي القرآن الكريم مِنْ عَجَائِبٍ، لا تَنْقَضِي ؛ من أثر الذنوب، يقول : (البسيط)

أُزْعِجْتُ عَنْ لَذَّةِ القُرْآنِ يَا سَنَدِي وَذَاكَ لَمَّا رَكِبْتُ الذَّنْبَ بِاللَّدَدِ
أَتْلُو القُرَانَ فَأَسْهُو عَنْ عَجَائِبِهِ لِشَهْوَةٍ قَطَعَتْ مِنِّي عُرَى كَبِدِي (٥)

وأَكَّدَ **القاضي أبو الحسن عَلِيّ بْن القَاسِم بن عشرة** (ت٥٩٧هـ) أَنَّ ذُنُوبَهُ جَعَلَتْهُ كَالمَيِّت، وغَيَّرَتْ حَالَهُ، يقول : (المتقارب)

تَغَيَّرَ حَالِي وَحَالَتْ صِفَاتِي وَذَلِكَ أَجْمَعُ مِنْ سَيِّئَاتِي
وَمَا كُنْتُ أَخْشَاهُ قَبْلَ المَمَاتِ فَهَا أَنَا أَبْصَرْتُهُ فِي حَيَاتِي (٦)

لقد أَنَّ شُعَرَاءُ الأَنْدَلُسِ تحت وَطْأَةِ الشُّعُورِ بِالذَّنْبِ ؛ لأنَّ حَمْلَ الذَّنْبِ ثقيلٌ يَنُوءُ به الظَّهْر، وتَضِيقُ به النَّفْسُ ؛ فتَجْأَر بالشَّكْوَى .

أولاً : مَفْهُومُ الشُّعُورِ بِالذَّنْبِ (The Feeling of guilt) :

بَدَأَ عُلَمَاءُ النَّفْسِ العام وعُلَمَاء النَّفْس التطوُّرِي (evolutionary psychology) حديثًا بتحويل اهتمامهم نحو دراسة العواطف المُرَكَّبَة، أو عواطف الوَعْي بالذات (Self - Conscious)، كعاطفة الشُّعُورِ بِالذَّنْبِ، وهي عاطفة قَوِيَّة مُلِحَّة (٧) .

ويَعْنِي الذَّنْبُ « ارتكاب المُكَلَّف أمرًا غير مَشْرُوع، وله درجات تختلف باختلاف طبيعة الفعل، ونِيَّة الفاعل ... ولا يُعَدُّ الفِعْلُ ذنبًا إلا إذا كان مَنْهِيًّا عنه في الشَّرْع، أو الأخلاق، أو مشتملاً على تقصيرٍ في الوَاجِب ... ويُشْتَرَطُ في نِسْبَةِ الذَّنْبِ إلى الفاعل أَنْ يَكُونَ مُدْرِكًا لِمَسْؤُولِيَّاتِهِ، حُرًّا في اختياره، وأنْ يَكُونَ تَكْلِيفُهُ مُتَنَاسِبًا مع استطاعته » (٨) .

وقد أكدت مُنَظَّمَةُ الطِّبِّ النفسيّ الأمريكيَّة (Dsm5) أنَّ الشُّعُورَ العُصَابِي بِالذَّنْبِ من مظاهر اضطراب الوسواس القهريّ (Obsessive Compulsive disorder) (٩) .

إِنَّ الشُّعُورَ بالذَّنْبِ يُمَثِّلُ صِرَاعًا نَفْسِيًّا، يَدْفَعُ المُذْنِبَ إلى البحث عَنْ وَسَائِل تُسَاعِده على التخلُّصِ من هذا الإحساس البغيض، الذي يُهَدِّدُ كِيَانَ الذَّاتِ ؛ من أجل الوُصُولِ إلى حالة الاستقرار النفسيّ ؛ فلا يَجِدُ مَلاذًا آمِنًا إلا اطمئنان التوبة .

ثَانِيًا : النَّظَرِيَّاتُ المُفَسِّرَةُ لِلشُّعُورِ بِالذَّنْبِ :

يرتبطُ الشُّعُورُ بالذَّنْبِ بالعِقَاب الذي يَصْدُرُ عَن الوَالِدَينِ في مرحلة الطُّفُولة، سواء أكان هذا العِقَاب مَادِيًّا أم نَفْسِيًّا، ثُمَّ يَتَوَلَّى الضَّمِيرُ بعد ذلك هذه المُهِمَّة، وهو أشدُّ قَسْوَةً من الوَالِدَينِ ؛ فهو لا يتسامح إِنْ أخطأ الفرد، ويُسَمَّى عِقَاب الضمير بـ(الشُّعُور بالذَّنْبِ) (١٠) .

ويُعَدُّ الشُّعُور بالذَّنْبِ – بصورة مُسْتَمِرَّة – من المَشَاعِرِ التي يُمْكِنُ أَنْ تُهَدِّدَ الأمن النفسيّ للمُذْنِب ؛ مِمَّا يُؤَدِّي إلى الاضطراب الانفعاليّ، وإِنْ تَجَاوَزَ حَدَّهُ صَارَ المَرْءُ يَعِيشُ وكأنه في حَالَةِ حِدَادٍ دَائِم، وقد يَصِلُ الأَمْرُ إلى إيذاء النَّفْس، أو المُبَالَغَة في مُحَاسَبَتِها، أو الجُنُون، أو الإقدام على الانتحار (Suicide)، ورَفْض الحياة .

أ) نَظَرِيَّة التَّحْلِيل النَّفْسِيّ (Psychoanalysis Theory) :

تؤكد نظرية التحليل النفسيّ أَنَّ الطِّفْلَ يَتَعَلَّمُ مُمَارَسة الإحساس بالذَّنْبِ، بوصفه صورة من صُوَر عِقَاب الذات، عندما يُخَالِفُ أوامر المَنْع الصادرة عن الآباء والأُمَّهَات والمُدَرِّسِينَ ؛ حيثُ يَشْعُرُ شُعُورًا غَامضًا بالذَّنْبِ عَلَى كُلِّ تَصَرُّفٍ وُجِّهَ إليه اللومُ بِسَبَبِهِ، والوسيلة المُثْلَى للخلاص من ذلك الشُّعُورِ تَكْمُن في السيطرة التنظيميَّة لِلوَالِدَينِ، وتلقين الطِّفْل القِيَم الأخلاقيَّة التي تَسْتَنِدُ إلى فكرة الضمير، الذي يُمَثِّلُ مجموعة الأفكار الاجتماعيَّة التي تتضمن معايير خُلُقِيَّة مقبولة اجتماعيًّا (١١) .

وقد تطرّق فرويد (Freud) (ت١٩٣٩م) إلى الشُّعُور بالذَّنْبِ عبر دراسة اضْطِرَاب الوِسْوَاس القَهْرِي، وأرجعه إلى الصراع النفسيّ بين الأنا (Ego)، والأنا الأعلى (Superego) ؛ فالأنا الأعلى يُقَاوِمُ الهُوَ (Id) والأنا

معًا، ويُحَاوِلُ أَنْ يُعَطِّلَ مبدأ اللَّذَّة (Pleasure principle) ومبدأ الواقع (Reality principle) ؛ فيشعر الأنا بالذَّنْبِ، ويُحَاوِلُ التخلُّص مِنْ نَقْدِ الأنا الأعلى له في صورة أمراض عُصَابِيَّة قَهْرِيَّة لا يظهر فيها أي إحساس بالذَّنْبِ (١٢).

وأَكَّدَ أن جُزْءًا كَبِيرًا من الشُّعُور بِالذَّنْبِ يتحتم أن يكون – عادةً – لا واعيًا لارتباط ظُهُور الضمير الخُلُقِيّ – بشكل وثيق – بعُقْدَة أوديب (تعلُّق الصَّبِيُّ بأُمِّه) التي تَمُتُّ إلى اللاوعي (١٣) .

وَقَامَ بتحليل القَلَق **(Anxiety)**، وأَكَّدَ أَنَّ القلق الأخلاقيّ يظهر في أعقاب حالات الإحباط المُرْتَبِطَة بالأنا الأعلى، الذي يعمل على ضَمَان السُّلُوك الذي يتوافق مع قوانين المجتمع أو الأخلاق أو الآداب العامَّة ؛ فَإِنْ سَلَكَ الفَرْدُ (الأنا) سُلُوكًا يَتَعَارَضُ مع ضميره ؛ فَإِنَّ هَذَا السُّلُوك يُمَثِّلُ إحباطًا لأناه العُلْيَا، التي سَتُعَاقِبُهُ بما تَعْكِسُهُ عليه مِنْ قَلَقٍ تُحَرِّكُهُ مَشَاعِرُ الذَّنْبِ (١٤).

وجَعَلَ الشُّعُورَ بالخِزْي (Shame) نَتِيجَة مُتَرَتِّبَة على الشُّعُور بالذَّنْبِ(١٥)؛ حيثُ « يَحْجُبُ كُلُّ عُصَابٍ جُرْعَةً من الإحساس بالذَّنْبِ، بصورة لا شُعُورِيَّة ؛ مِمَّا يَجْعَلُ الأَعْرَاضَ – بِدَورِهَا – أَكْثَرَ استمرارًا بوصفها عُقُوبَات»(١٦).

إِنَّ الذَّنْبَ حالة خَرْق غير واعية للقِيَم، ويتمثل هذا الخَرْق في إيذاء الآخرين بدوافع الحَسَد والغَيرَة والانتقام، وحينما يُدْرِكُ الفَرْدُ على مستوى الوَعْي أَنَّ رَغَبَاتِهِ ودَوَافِعَهُ مُنَاهِضَة لِلقِيَم والتقاليد السائدة في مجتمعه ؛ فَإِنَّ إِدْرَاكَهُ هَذَا يُشْعِرُهُ بالذَّنْبِ (١٧) .

وقد أكد فرويد أَنَّ الشُّعُورَ بِالذَّنْبِ مِنْ أهم المُشْكِلات التي تُوَاجِه التطوُّر الحضاريّ، ويَتَرَتَّبُ عليها فُقْدَان السعادة .

إِنَّ المُبَالَغَة في الشُّعُور بالذَّنْبِ هي الطريق المُؤَدِّي إلى تَطَوُّر الأَعْرَاض النَّفْسِيَّة المَرَضِيَّة ؛ حيثُ يستثيرُ الشُّعُورُ بالذَّنْبِ – بطبيعته – الحاجة إلى عِقَابِ الذَّات، بوصفها مُدَانَة .

ب) النَّظَرِيَّة السُّلُوكِيَّة (Behavioral Theory) :

رأى عُلَمَاءُ النَّظَرِيَّة السُّلُوكِيَّة أَنَّ الطِّفْلَ يُولَدُ على الفِطْرَة، ويَكْتَسِبُ المعاييرَ الأخلاقية من الوَالِدَينِ والمُدَرِّسِينَ، عن طريق ملاحظة النماذج (models) وتقليدها ؛ لأنَّ السُّلُوكَ الأَخْلاقِيَّ سُلُوكٌ مُتَعَلَّم، بوصفه استجابة رَمْزِيَّة لمُثِيرَاتٍ مُحَدَّدة في البيئة الاجتماعيَّة، ويمكن تعديله من خلال التدخُّل البيئيّ؛ فتعريض الطِّفْل لِخِبْرَات بيئيَّة مختلفة يعمل على تغيير الحُكْم الخُلُقِيّ لديه من خلال التعلُّم الاجتماعيّ، بِغَضِّ النظر عن مستوى الطفل في النُّمُو[١٨].

وجَعَلَ أنصارُ النظريَّة السُّلُوكِيَّة الشُّعُور بالذَّنْبِ مُكَوِّنًا من مكونات القَلَق؛ لأنَّ السُّلُوك الذي يتكرر العِقَاب عليه يؤدي إلى الإحساس بالذَّنْبِ ؛ فقد أرجع واطسون (Watson) (ت١٩٥٨م)، وسكنر (Skinner) (ت١٩٩٠م) الشُّعُور بِالذَّنْبِ إلى مجموعة الخبرات الناتجة من فَشَلِ الإنسان في تَعَلُّم سُلُوك مُنَاسِب، أو فَشَله في صياغة الأشياء في صُورتها المِثَالِيَّة [١٩].

ونَظَرَ باندورا (Bandura) إلى التعلُّم الاجتماعيّ على أنه يتكون عبر ثلاث مراحل، هي : المُلاحَظَة (ملاحظة سُلُوك النَّمُوذَج عن طريق : الانتباه، الاحتفاظ، الاستخراج الحركيّ، الدافعيَّة)، والاكتساب (توجيه الانتباه إلى دلالات ومحددات القُدْوَة وتخزينها في الذاكرة)، والمُوَافَقَة (استعمال الملاحِظ دلالات القُدْوَة وإشاراته أو سُلُوكِه بوصفها مُرْشِدًا لأفعاله وسُلُوكِه)[٢٠].

تنطلق النظرية السُّلُوكِيَّة مِنْ مُسَلَّمة الحَتْمِيَّة البيئيَّة، بمعنى أَنَّ لِكُلِّ مُثِير اسْتِجَابة، وأن معظم سُلُوك الإنسان – الذي يُكَوِّنُ مِحْوَر شخصيته – مُتَعَلَّم، يَكْتَسِبَهُ عَنْ طريق التّعزيز (التدعيم) والعِقَاب ؛ حيثُ تقومُ أساليبُ التربية بِدَورٍ بَارِزٍ في تعليم الأفراد الأنماط السُّلُوكِيَّة التي تُمَكِّنُهُمْ من تحقيق أَهْدَافِهِمْ .

ج) النَّظَرِيَّةُ الاجْتِمَاعِيَّةُ (Sociological Theory) :

ترى هورني (Horney) (ت١٩٥٢م) – صاحبة النظريَّة الاجتماعيَّة – أَنَّ السُّلُوكَ الإنسانيَّ السَّوِيّ يُسْتَمَدُّ مِن الشُّعُورِ بالطُّمَأْنِينَة، والحَاجِة إلى الأمن ؛ حيثُ يَنْشَأُ القَلَقُ عن شُعُورِ الفَرْدِ بالعَجْزِ فِي عالَمٍ مليء بالعَدَاء والتَّنَاقُض ؛ مِمَّا يدفعه إلى أن يتجاوُب مع الآخرين، أو يَسْلُكُ سُلُوكًا عَدَائِيًّا نحوهم، أو يَنْسَحِبُ بعيدًا منهم [٢١] .

وتذهب إلى أن الشُّعُورَ بِالذَّنْبِ – في النظرية الفرويديَّة – يُمَثِّلُ الحالة الناجمة عن التوتر بين الأنا والأنا الأعلى، ويكون الإحساس به لدى الأفراد العُصَابِيينَ أكثر حِدَّة من الأفراد العاديين ؛ لأنَّ الأنا الأعلى عندهم يكون مُتَصَلِّبًا وصارمًا [٢٢] .

وأكدت أهمية سنوات الطُّفُولة المُبَكِّرة في تكوين الشخصيَّة في مرحلة الرُّشْد، ورَجَّحَتْ أن العوامل الاجتماعيَّة تُؤَثِّر – بدرجة كبيرة – في تَطَوُّر الشخصيَّة .

د) النَّظَرِيَّةُ المَعْرِفِيَّة (Cognitive Theory) :

تَنْتُجُ المَعْرِفَةُ مِنْ تَفَاعُلِ مُتَطَلَّبَات البيئة مع قُدْرَات المُتَعَلِّم [٢٣]، ويرى أصحاب النظريَّة المَعْرِفِيَّة أَنَّ مَشَاعِرَ الذَّنْبِ تَنْبُعُ مِنْ اعتقاد المَرْءِ أَنَّهُ تَسَبَّبَ فِي إيذاء الآخرين .

وقد رَكَّزَ بياجيه (Piaget) (ت١٩٨٠م) في مجال الاهتمام بدراسة المفاهيم عند الأطفال على ما يُسَمَّى بالتَّعَقُّل الخُلُقِيّ (Moral Reasoning)، أي إصدار الحُكْم الخُلُقِيّ على سُلُوكٍ ما، مع إِعْطَاء الأُسُس العقليَّة والمَنْطِقِيَّة والأخلاقيَّة التي تُبَرِّرُ إصدار مِثْل هذا الحُكْم، بصرف النَّظَر عَنْ إمكان تنفيذه في الواقع، وأكد أَنَّ الأحكامَ الخُلُقِيّة تتأثر بالقِيَم الثقافيَّة السائدة، وذهب إلى أن التفكير الأخلاقيّ يُشْبِهُ في تَدَرُّجِهِ النُّمُو المَعْرِفِيّ [٢٤] .

ونظر إلى الضمير بوصفه مجموعة من المعايير الشخصيَّة، تبدأ بالنُّضْج لدى الفَرْد عندما يستطيع أَنْ يُمَيِّزَ بين الأخلاق على أساس المواقف

التي يَتَعَرَّض لها، وهذا مشروط باستجابته للقوانين بوصفها قرارات منطقيَّة تَخْدِمُ العَدَالَةَ والمُسَاوَاة في الشُّؤون الإنسانيَّة ؛ مِمَّا يَقُودُهُ إلى الشُّعُور بالذَّنْبِ عند مخالفته المعايير الأخلاقيَّة، على وفق أربع مراحل للنمو الأخلاقيّ، وهي: المراحل الحسيَّة الحركيَّة، والتركيز، والتَّمَرْكُز حول الذات، والانتقال [٢٥] .

اختلفت النظريات المُفَسِّرَة للشعور بالذنب تبعًا للإطار النظريّ لِكُلٍّ منها ؛ فقد رَكَّزَتْ نظرية التحليل النفسيّ على الشُّعُورِ بالذَّنْبِ، الذي يَتَعَلَّمه الإنسانُ في مرحلة الطُّفُولة المُبَكِّرَة مِنْ خلال التنشئة الاجتماعيَّة مِنَ القائمينَ بالتربية، وغَيرُ خَافٍ أَنَّ الخبرات الانفعاليَّة في ذَلِكَ الطَّور تَتْرُكُ أثرًا ثابتًا في بناء الشخصيَّة .

وأَرْجَعَتْ النَّظَرِيَّةُ السُّلُوكِيَّةُ الشُّعُورَ بالذَّنْبِ إلى رَدِّ فِعْلِ الآباء تجاه الأعمال التي يقوم بها أطفالهم ؛ أي أنَّ تَعَرُّضَ الطفل للعُقُوبة وتَكْرَارها، عندما يقوم بعمل لا يَرْضَى عنه وَالِدَيه، من أهم الأسباب المُؤَدِّية بالطِّفْلِ إلى الشُّعُور بالذَّنْبِ ؛ لأنَّه يَتَعَلَّمُ السُّلُوك الأَخْلاقِيّ عن طريق التعزيز، والعِقَاب، والتقليد .

وحاولت النَّظَرِيَّةُ الاجتماعيَّة الإلمام بالمُتَغَيِّرَات الاجتماعيَّة التي تَتَحَكَّم في الشُّعُور بالذَّنْبِ .

أَمَّا النَّظَرِيَّة المَعْرِفِيَّة، التي تَهْتَمُّ – في المقام الأول – بالتفكير الأخلاقيّ ؛ فقد رأت أنّ السُّلوكَ مُحَدَّدٌ بواسطة التّفكير والعمليَّات العقليَّة .

المَبْحَثُ الأَوَّلُ
الخِبْرَةُ المُسَبِّبَةُ للشُّعُورِ بِوَطْأَةِ الذُّنُوب

أولاً : الغَفْلَةُ عَنْ ذِكْرِ اللهِ (ﷻ) :

لقد قَسَتِ القُلُوبُ، بعدما استولتِ الغَفْلَةُ على النفوس ؛ لأنَّ الذُّنُوبَ « إِذَا تَكَاثَرَتْ طُبِعَ عَلَى قَلْبِ صَاحِبِهَا ؛ فَكَانَ مِنَ الغَافِلِينَ » [٢٦] ؛ لذا جَعَلَ سُبْحَانَهُ المَعِيشَةَ الضَّنْكَ مُتَرَتِّبَة عَلَى الإِعْرَاضِ عَنْ ذِكْرِهِ ؛ فَالمُعْرِضُ عَنْهُ يُقَاسِي مِنَ الوَحْشَةِ ما لا مَزِيدَ عليه، ويَذْهَبُ نُورُ قَلْبِهِ ؛ فَلا يَصِلُ إليه مِنْ خَيرِ المَوعِظَةِ الحَسَنَةِ شَيء .

إِنَّ القَلْبَ يُظْلِمُ بِسَبَبِ الذُّنُوبِ، وتَشْتَدُّ قسوته، ويُصْرَفُ عَنْ نُورِ الإِيمَانِ ؛ فالأقفال مشدودة على القُلُوبِ، والحِجَابُ مَسْدُولٌ بين المُصِرِّ عَلَى الذَّنْبِ وأبواب الخير كافَّة، يقول **أبو إسحاق الإلبيريّ** (ت٤٦٠هـ) في وصف الشيخ الجاهل الذي يَتَصَابَى، ولا يَعْتَبِر بِالشيبِ الذي يعلو رَأْسَهُ : (السريع)

كَأَنَّمَا رِينَ عَلَى قَلْبِهِ ... فَصَارَ مَحْجُوبًا عَنِ اللهِ [٢٧]

ويؤكد **أبو عُمَر بن عبد البر** (ت٤٦٣هـ) أَنَّ الإنسانَ يَخُوضُ في الباطل، ويَغْفَلُ عَنْ ذِكْرِ اللهِ، ويَعْمَلُ عَمَلاً غير صالح ؛ حَتَّى يَتَغَمَّدَهُ اللهُ بِرَحْمَتِهِ ؛ فيصحو من سُبَاتِه، ويُصْغِي إلى صوتِ النَّذِير، ويَلْتَفِت إلى آخرته، يقول : (الطويل)

نَخُوضُ وَنَلْهُو غَفْلَةً وَجَهَالَةً ... وَنَنْشُرُ أَعْمَالاً، وَأَعْمَارُنَا تُطْوَى [٢٨]

إِنّ الغَفْلَةَ عَنْ ذِكْرِ اللهِ (ﷻ) خِذْلان، يقول **أبو الربيع سليمان المُوَحِّدِيّ** (ت٦٠٤هـ) : (السريع)

يَا غَافِلاً عَنْ ذِكْرِ مَولاهُ ... وَذَاهِلاً عَنْ شُكْرِ نَعْمَاهُ
وَرَاتِعًا فِي غَيِّه لاهِيًا ... قَدْ كُحِّلَتْ بِالنَّومِ عَينَاهُ [٢٩]

ويُنَادِي **ابنُ الصَّبَّاغ الجُذَامِيّ** (ت بعد سنة ٦٤٧هـ) مَنْ تَمَادَى فِي اللَّهْوِ، ونَعِمَتْ عَينَاهُ بِلَذِيذِ الرُّقَادِ، وغَفَلَ عَنْ ذِكْرِ اللهِ (ﷻ)، ولم يُدَخِّرْ زَادًا لِمَعَادِهِ، ويَنْصَحُهُ بالعودة إلى رُشْدِه، قَبْلَ فَوَاتِ الأَوَان، يقول : (الكامل)

وَنَعِمْتُ عَينًا بِالمَنَامِ وَطِيبِهِ يَا غَافِلاً لَمْ يَسْتَعِدْ لِزَادِهِ (٣٠)

إنَّ الغَفْلَةَ عَنْ ذِكْرِ اللهِ تُوقِعُ المَرْءَ في مُوبِقَاتِ الذُّنُوبِ، والغَافِلُ مُفَرِّطٌ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ؛ فقد اقترب الحساب، وهو لاهٍ عن ذلك، خَدَعَهُ الشَّيطَانُ، وغَرَّتْهُ الدُّنْيَا الفانية، التي لا يَصْفُو لِمُحِبِّها شُرْب .

ثَانِيًا : حُبُّ الدُّنْيَا :

التعلُّقُ الزائدُ بالدنيا، والانقطاعُ عن الآخرة، وقُوَّة أَسْبَاب الطَّمَع، من أهم أسباب اقتراف الذنوب ؛ لأنَّ التَّكَالُبَ عَلَى مُتَعِ الدُّنْيَا ولَذَّاتِهَا يُنْقِصُ مِنَ التَّمَسُّكِ بِعُرَى الدِّينِ القَوِيمِ .

وهذا **القاضي أبو الوليد بن الباجي** (ت٤٧٤هـ) يعترف بأنه أجهد نَفْسَهُ في طَلَبِ مَبَاهِجِ الدنيا، وآثر عاجلها الفاني على آجل الآخرة الباقي، ولم يَجْنِ مِنْ ذلك إلا الحَسْرَة، يقول : (الطويل)

وَأَجْهَدْتُهَا فِي نَيلِ دُنْيا، وَلَمْ أُرِحْ وَكَمْ أَسَفٍ قَدْ جَرَّهُ ذَلِكَ الجُهْدُ (٣١)

لقد عَظَّمَ النَّاسُ الدنيا جَهْلاً ؛ حَتَّى إنَّهم غَفَلوا عن الاستعداد للآخرة، وكاد بعضُهم لبعضٍ، وتَنَافَسُوا – فيما بينهم – للفوز بمتاعها الزائل، كما تتنافس الكلابُ للفوز بالحيوان الجريح الواقع في الصيد، والغرض من هذا التشبيه التنفير مِنْ حُبِّ الدنيا، ولفت الانتباه إلى ضرورة هَجْرِهَا، والاهتمام بما يبقى نفعُهُ للمَرْء في آخرته، يقول **ابن سَارَة** (ت٥١٧هـ) : (الوافر)

بَنُو الدُّنْيَا بِجَهْلٍ عَظَّمُوهَا فَجَلَّتْ عِنْدَهُمْ، وَهِيَ الحَقِيرَهْ
يُهَارِشُ بَعْضَهُمْ بَعْضًا عَلَيهَا مُهَارَشَةَ الكِلابِ عَلَى العَقِيرَهْ (٣٢)

ويتعجَّبُ **الأَعْمَى التُّطَيلِيُّ** (ت٥٢٥هـ) مِن الإنسان ؛ فهو يَحْرِصُ على الدُّنْيَا، ويُدَخِّرُ الأموالَ طامعًا في الفوز بِلَذَّتها ؛ فينقاد وراء شهواتها، ويتعلَّق بها قَلْبُهُ، وفي نهاية الأمر يَخْرُجُ مِنْهَا خَالِيَ الوِفَاض، يقول : (الطويل)

عِتَابٌ عَلَى الدُّنْيَا، وَقَلَّ عِتَابُ رَضِينَا بِمَا تَرْضَى، وَنَحْنُ غِضَابُ
وَقَالَتْ وَأَصْغَينَا إِلَى زُورِ قَولِهَا وَقَدْ يَسْتَفِزُّ القَولُ وَهْوَ كِذَابُ
وَغَطَّتْ عَلَى أَبْصَارِنَا وَقُلُوبِنَا فَطَالَ عَلَيهَا الحَومُ وَهْيَ سَرَابُ

وَدَانَتْ لَهَا أَفْوَاهُنَا وَعُقُولُنَا وَهَلْ عِنْدَهَا إِلاَّ الفَنَاءُ ثَوَابُ (٣٣)

ويُشَبِّهُ **القاضي أبو القاسم بن بَقِيّ** (ت٥٣٧هـ) الدُّنْيَا بالراح المُعَتَّقَة، التي يُقْبِلُ عَلَيها الشَّارِبُونَ لِجَلْبِ الأُنْسِ، وهِي في حقيقة الأمر تَضُرُّ أكثرُ مِمَّا تَنْفَع، وضَرَرُهَا مُتَيَقَّن، ونَفْعُهَا مَظْنُون، وحُلْوُهَا مُرّ، يقول : (الطويل)

أَلا إِنَّمَا الدُّنْيَا كَرَاحٍ عَتِيقَةٍ أَرَادَ مُدِيرُوهَا بِهَا جَلْبَ الأُنْسِ
فَلَمَّا أَدَارُوهَا أَثَارَتْ حُقُودَهُمْ فَعَادَ الذِي رَامُوا مِنَ الأُنْسِ بِالعَكْسِ (٣٤)

ويُرْشِدُ **القاضي عبد المُنْعِم بن مُحَمَّد بن فَرَج الخَزْرَجِيّ** (ت٥٩٧هـ) – في الأبيات التي أَمَرَ أنْ تُكْتَبَ على قَبْره – الناسَ ألا يَغْتَرُّوا بالدنيا، يقول : (الطويل)

أَلا قُلْ لِمَنْ يُمْسِي لِدُنْيَاهُ مُؤْثِرًا وَيُهْمِلُ أُخْرَاهُ : سَتَشْقَى وَتَنْدَمُ
فَلا تَفْرَحَنْ إِلاَّ بِتَقْدِيمِ طَاعَةٍ فَذَاكَ الذِي يُنْجِي غَدًا وَيُسَلِّمُ (٣٥)

وعلى المَرْءِ أن يعيشَ في الدُّنْيَا كأنه عَابِرُ سَبِيل، يقول **مَالِك بْن المُرَحَّل** (ت٦٩٩هـ) : (الوافر)

أُخَيَّ، إِلَى مَتَى هَذَا التَّصَابِي؟ جُنِنْتَ بِهَذِهِ الدُّنْيَا جُنُونَا
هِيَ الدُّنْيَا وَإِنْ وَصَلَتْ وَبَرَّتْ فَكَمْ قَطَعَتْ وَكَمْ تَرَكَتْ بَنِينَا! (٣٦)

ويعترف **أبو بكر بن شَبْرِين** (ت٧٤٧هـ) بأن سبب الذنوب حُبّ الدنيا، يقول : (الخفيف)

أَثْقَلَتْنِي الذُّنُوبُ وَيحِي وَوَيسِي لَيتَنِي كُنْتُ زَاهِدًا كَأُوَيسِ
إِنَّمَا أَصْلُ مِحْنَتِي حُبُّ دُنْيَا هِيَ لَيلَى وَلِي بِهَا وَجْدُ قَيسِ (٣٧)

يَعْصِي المُذْنِبُ رَبَّهُ، ويُضَيِّعُ الفرائضَ عامدًا، ويَحْرِصُ على استكمال سُبُل المُتْعَة، ويقطع ليلَهُ ونهارَه في اكتساب الذنوب، وجَمْع السيئات، واتِّبَاع هَوَى النَّفْسِ، ويَنْسَى دارَ المَعَادِ، وما ذاك إلا لِحُبِّ الدُّنْيَا .

ثَالِثًا : اتِّبَاع هَوَى النَّفْس :

إنَّ سبب الذنوب طاعة الهوى، والانسياق وراء النَّفْس الأَمَّارَة بِالسُّوءِ، التي تَمِيلُ إلى البَاطِل، وتُسَاعِدُ شَيطَانَهَا الذي يُريد ضَلالها، وما أَقْبَحَ مُخَالَفَةَ أَوَامِرِ الله !

وهذا **حمديس القَطَّان** (ت٤٨٩هـ) يَظْلِمُ نَفْسَهُ باتباع الشَّهوات، يقول : (مجزوء الرمل)

إِنَّمَا أَظْلِمُ نَفْسِي بِاتِّبَاعِي لِهَوَائِي
كُلَّمَا دَاوَيتُ دَائِي غَلَبَ الدَّاءُ دَوَائِي (٣٨)

إنَّ النفسَ المُتَعَلِّقَة بالشَّهوات مَحْجُوبَةٌ عن الله (ﷻ)، مُعْرِضَة عن الطاعة والعبادة، مُنْسَاقَة وَرَاء هَوَاها لا يَرُدّها شَيء، يقول **بَكْر بن حَمَّاد** (ت٢٩٦هـ) : (الطويل)

لَقَدْ جَمَحَتْ نَفْسِي فَصَدَّتْ وَأَعْرَضَتْ وَقَدْ مَرَقَتْ نَفْسِي فَطَالَ مُرُوقُهَا (٣٩)

ويدعو **ابن حَزْم الأندلسيّ** (ت٤٥٦هـ) على أصحاب النفوس اللاهية بالخَيبَة والخُسْرَان (فَخَابَتْ نُفُوسٌ)، ويَذْكُرُ سَبَب خَيبَتِهَا، وهو الانقيادُ لِهَوَى النَّفْسِ، الذي يُورِثُ حُزْنًا طَوِيلاً في نَارِ جَهَنَّم، التي لا تَخْمُدُ نِيرَانُهَا، يقول : (الطويل)

فَخَابَتْ نُفُوسٌ قَادَهَا لَهْوُ سَاعَةٍ إِلَى حَرِّ نَارٍ لَيسَ يُطْفَي أُوَارُهَا
أَتَعْلَمُ أَنَّ الحَقَّ فِيمَا تَرَكْتَهُ وَتَسْلُكُ سُبُلاً لَيسَ يَخْفَى عُوَارُهَا (٤٠)

ويُصَرِّحُ **أبو إسحاق الإلبيريّ** بأن نفسه جاهلة، تسعى للراحة، وتَتَّبِع سُلْطَان الهَوَى، يقول : (الطويل)

إِلَى اللهِ أَشْكُو جَهْلَ نَفْسِي فَإِنَّهَا تَمِيلُ إِلَى الرَّاحَاتِ وَالشَّهَوَاتِ (٤١)

ويَتَعَجَّبُ **أبو عمر بن عبد البَرّ** مِمَّنْ يُطِيعُ هَوَى نَفْسِهِ، ويُؤْثِرُهُ على طاعة الله ومَرْضَاتِهِ، ويُصِرُّ على المَعْصِية، على الرَّغْمِ مِنَ الضَّرَر الكبير الواقع عليه في الدنيا، والعاقبة الوخيمة التي تَنْتَظِرَهُ في الآخرة، يقول : (الطويل)

عَجِبْتُ لِنَفْسٍ تُبْصِرُ الحَقَّ بَيِّنًا لَدَيهَا، وَتَأْبَى أَنْ تُفَارِقَ مَا تَهْوَى
وَتَسْعَى لِمَا فِيهِ عَلَيهَا مَضَرَّةٌ وَقَدْ عَلِمَتْ أَنْ سَوفَ تُجْزَى بِمَا تَسْعَى (٤٢)

ويَسْتَنْكِرُ **القاضي أبو الوليد بن الباجي** فِعْلَ المُذْنِبِ، الذي يُبْصِرُ طَرِيقَ الرَّشَادِ، ويَسْلُكُ سُبُلَ الضَّلال، ويُؤَكِّدُ أَنَّ الإِعْرَاضَ عَنِ الرُّشْد عَاقِبَتَهُ النَّدَم، يقول : (الطويل)

وَتَابَعْتُ نَفْسِي فِي هَوَاهَا وَغَيِّهَا وَأَعْرَضْتُ عَنْ رُشْدِي وَقَدْ أَمْكَنَ الرُّشْدُ (٤٣)

ويَخُوضُ **ابن حَمْدِيس الصَّقَلِّيّ** (ت٥٢٧هـ) لُجَجَ هَوَى النَّفْسِ بِجُرْأَةٍ، ولا يَخَافُ من الغَرَق في أَمْوَاجِهَا العاتية، يقول : (الطويل)

إِلَى كَمْ أَرَانِي فِي هَوَى النَّفْسِ خَائِضًا وَلَمْ أَتَّقِ الإِغْرَاقَ مِنْهَا عَلَى نَفْسِي

ويُشَبِّهُ نَفْسَه بِالمِغْنَطِيس، الذي يَجْذِبُ الحَدِيدَ، ويُشَبِّهُ الذُّنُوبَ بالحديد، الذي يلتصق بِالمِغْنَطِيس، ولا يَتْرُكُه، يقول : (المتقارب)

كَأَنَّ لِنَفْسِكَ مَغْنِيطِسًا غَدَتْ لِلذُّنُوبِ بِهِ جَاذِبَهْ (٤٥)

ويَرْصُدُ **أبو الحَجَّاج يُوسُف بن مُحَمَّد البَلَوِيّ** (ت٦٠٤هـ) الصِّرَاعَ النَّفْسِيّ بين هَوَى النفس (الشر) والقيم الدينيَّة (الخير)، والنفسُ – بطبيعتها – أَمَّارَةٌ بالسُّوء ؛ لذا عندما يَسْلُكُ طريق الخير والرَّشَاد تُعَانِدُهُ نَفْسُهُ، يقول : (الوافر)

أَلا يَا وَيحَ نَفْسِي مَا لَهَا إِذْ أَمِيلُ بِهَا إِلَى الخَيرَاتِ تَابَى (٤٦)

وكُلَّمَا حاول **أبو عبد الله مُحمد بن جُبَير اليَحْصُبِيّ** التزوُّد ليوم الحشر بِزَادٍ مِنْ عَمَلٍ صَالح، صَرَفَتْهُ غَرَائِزُ نَفْسِهِ عن العبادة ؛ فتقاعس، واستمرَّ فِي غَيِّه، بَعْدَ أَنْ قَيَّدَتْهُ ذُنُوبُهُ الكَثِيرة، يقول : (الخفيف)

كُلَّمَا رُمْتُ أَنْ أُقَدِّمَ خَيرًا لِمَعَادِي وَرُمْتُ أَنِّي أَتُوبُ
صَرَفَتْنِي بَوَاعِثُ النَّفْسِ قَسْرًا فَتَقَاعَسْتُ، وَالذُّنُوبُ ذُنُوبُ (٤٧)

لقد خَابَ مَن آثر الحياة الدنيا ولَذَّاتِها، عَلَى الآخرة وجَنَّتِهَا، وأَطَاعَ هَوَى نَفْسِهِ ؛ فَقَادَه إلى المَهَالِك، ولم يَجْنِ إلا الخُسْرَان المُبِين .

رَابِعًا : المُجُونُ زَمَن الشَّبَاب :

كثيرًا ما تقترن الذنوب بزمن الشباب ؛ لأنها أيام القُوَّة والاندفاع التي تُغْرِي صاحبها بارتكاب المعاصي، وخَلْع العِذَار، والانْهِمَاك فِي الغَيّ، وبَعْدَ أَنْ يَقْطَعَ المُذْنِبُ شَبَابَهُ في اللَّهْو، يَتَجَرَّع مَرَارَةَ النَّدَمِ فِي شيبه، ويَرْجِع إلى عَقْلِهِ، ويَعْتَصِم بِالحِلْم، ويَتَزَيَّن بالوقار .

وهذا **الغَزَال** يُصَرِّحُ بأنه أمضى نحو اثني وسِتِّينَ عَامًا في اللهو، ثُمَّ رَاجَعَ نَفْسَهُ، وكَفَّ عَنْ صَبَوَاتِهِ، بَعْدَ أَنْ جَاءَتْهُ نُذُرُ الشَّيبِ، يقول : (السريع)

مَهْلاً فَلَيسَ العَذْلُ مِنْ شَانِي لَسْتُ عَنِ اللَّذَّاتِ بِالوَانِي
مَضَتْ ثَلاثُونَ إِلَى مِثْلِهَا لِي وَثَلاثُونَ وَثِنْتَانِ
وَالثُّلْثُ مِنْهَا فِي سَبِيلِ الصِّبَا وَفِي المَعَاصِي ثُلْثُهَا الثَّانِي (٤٨)

ويؤكد **ابن خفاجة** (ت٥٣٣هـ) أنه قَضَى شَبَابَهُ في المُجُون، واتباع الهوى، واكتساب السيئات، يقول : (الرمل)

قَلَّصَ الشَّيبُ بِهَا ذَيلَ امْرِئٍ طَالَمَا جَرَّ صِبَاهُ رَسَنَهْ (٤٩)

ويعترف بأنه آثَرَ عَالَمَ المُتَعِ الحِسِّيَّة عَلَى عَالَمِ النَّفْسِ في شبابه، يقول: (الكامل)

سَحَبَ الشَّبِيبَةِ فِي الغَوَايَةِ ضِلَّةً حَتَّى تَسَرْبَلَ ثَوبَهَا أَخْلاقَا (٥٠)

ويُرْجِعُ **أبو حَيَّان الأَنْدَلُسِيّ** (ت٧٤٥هـ) مَا اقْتَرَفَهُ من ذُنُوب إلى شَبَابِه الآفل، وما فيه مَنْ طَيش واندفاع وشهوة، يقول : (الخفيف)

يَا شَبَابِي، أَفْسَدْتَ صَالِحَ دِينِي يَا مَشِيبِي، نَغَّصْتَ لَذَّةَ عَيشِي (٥١)

إِنَّ شَيبَ القَذَال لِجَامٌ، يَجْعَلُ المَرْءَ يَكُفُّ عَنِ الجِمَاحِ، ويَقِفُ أَمَامَ نَفْسِهِ وَقْفَةَ مُحَاسَبَة، ويُذَكِّرُها بِأَنَّ المَوتَ قَرِيبٌ، ولا بُدَّ مِنَ الاستعداد له، والإعراض عَنْ مَكَائِدِ الشَّيطَانِ .

خَامِسًا : مَكَائِدُ الشَّيطَانِ :

يَسْتَخْدِمُ الشيطانُ حبائلَ كي يُوقِعَ ابنَ آدم في شَرَكِهِ، إنه يدعو حِزْبَهُ ليكونوا من أصحاب السعير والعذاب الأليم، ويُزَيِّنُ لهم العَمَلَ الفَاسِدَ، ويَصُدُّهُمْ عَن الصِّرَاط المُسْتَقِيم .

ولا شَكَّ فِي أَنَّ المُذْنِبَ يَنْقَادُ لأَوَامرِ الشيطانِ، الذي يُغْرِيهِ بِالفَسَادِ والإِفْسَاد، ويملأُ صَدْرَهُ بالوساوس، ويُزَيِّنُ له شَهَوَات الدنيا، يقول **أبو عبد الله مُحَمَّد بن الحَسَن بن الطُّوبِي** : (المتقارب)

يُحِبُّ بَنُو آدَمَ رَبَّهُمْ وَلَكِنَّهُمْ بَعْدُ يَعْصُونَهُ
وَإِبْلِيسُ قَدْ شَرِبُوا بُغْضَهُ وَهُمْ بَعْدَ ذَاكَ يُطِيعُونَهُ (٥٢)

ويعترف **أحمد بن معدّ بن عيسى بن وكيل، المعروف بابن الإقليشيّ** (ت٥٥١هـ) بأنه اندفع في كَسْبِ المَعَاصِي عن قَصْدٍ وتَعَمُّد ؛ فقد دَفَعَهُ قَلْبُهُ، الذي يخالف طريق الحق، إلى ذلك ؛ فاستغرق في الضلال، يقول : (الطويل)

قَدِيمًا عَصَى عَمْدًا وَجَهْلاً وَغِرَّةً وَلَمْ يَنْهَهُ قَلْبٌ مِنَ اللهِ خَائِفُ (٥٣)

ويَجْرِي الشيطانُ مِنْ ابْنِ آدم مَجْرَى الدِّمَاء، يقول **الرُّصَافِيّ البَلَنْسِيّ** (ت٥٧٢هـ) : (السريع)

مَا أَنْزَعَ الشَّيْخَينِ بَينَ الوَرَى إِبْلِيسُ، لا قُدِّسَ، وَابْنُ الخَلِيعْ (٥٤)

وقد زَيَّنَ إِبْلِيسُ لِلمُشْرِكينَ خَوضَ مَعْرَكة بَدْر، ومَنَّاهُمْ بِالفَوزِ البَاهِرِ، ثُمَّ نَالُوا الهزيمةَ المُنْكَرَة ؛ فَتَبَرَّأَ مِنْهُم، وكذا يَفْعَلُ بأوليائه يومَ القِيَامَةِ ؛ فَبِئْسَ القَرَار، وكذلك أورد الأُدْفُونش شيعته الرَّدَى في معركة الأَرَك سنة ٥٩١هـ في عهد الخَلِيفَة المُوَحِّدِيّ المَنْصُور (ت٥٩٥هـ)، يقول **أبو العَبَّاس الجِرَاوِيّ** (ت٦٠٩هـ) : (الطويل)

حَكَى فِعْلَ إِبْلِيسٍ بِأَصْحَابِهِ الأُلَى تَبَرَّأَ مِنْهُمْ حِينَ أَورَدَهُمْ بَدْرَا (٥٥)

إِنَّ الشيطانَ يَغُرُّ الإِنسانَ ؛ فَيَعْكُف عَلَى اكْتِسَابِ الخَطَايا عُكُوفَ الآكِلِ النَّهِمِ، ولا يَشْعُرُ بالشَّبَعِ، ولو هَدَاهُ اللهُ إلى طريق الرَّشَادِ ؛ لَكَانَ مِنَ المُحْسِنِينَ، يقول **ابن جابر الأَنْدَلُسِيّ** (ت٧٨٠هـ) : (البسيط)

وَلَو هُدِيتُ بِرُشْدٍ مَا عَكَفْتُ عَلَى كَسْبِ الخَطَايَا عُكُوفَ الآكِلِ النَّهِمِ(٥٦)

ويدعو **عبد الكريم القَيْسِي** (تُوُفِّيَ في أواخر القرن التاسع الهجريّ) اللهَ أن يجعلَ التَّيسيرَ أَنِيسَهُ، والتوفيقَ حَلِيفَهُ، يقول : (الطويل)

فَيَا رَبِّ يسِّرْ كُلَّ عُسْرٍ قَضَيتَهُ عَلَيَّ وَفَرِّجْ كُرْبَتِي وَبَلائِي

وَلا تَلْتَفِتْ نَحْوَ الذُّنُوبِ التِي مَضَتْ فَمِنْهَا بَلائِي الآنَ أَعْظَمُ دَائِي
فَلَمْ آتِهَا جَذْلانَ يَومَ أَتَيتُهَا وَأَنْتَ بِجَهْرِي عَالِمٌ وَخَفَائِي
وَمَا كُنْتُ أَرْضَاهَا لِنَفْسِي سَجِيَّةً أُعَابُ بِهَا فِي بُكْرَتِي وَمَسَائِي
وَلَكِنَّمَا الشَّيطَانُ غَرَّ بِكَيدِهِ فَوَاقَعْتُ مِنْهَا مَا أَطَالَ بُكَائِي (٥٧)

لقد خَدَعَهُ الشيطانُ بِمَكْرِهِ ؛ فَوَقَعَ فِي الذُّنُوبِ ؛ فَطَال بَلاؤُه، وعَظُم بُكَاؤُه، وتَضَاعَفَ دَاؤُه، وعَسُرَ أَمْرُهُ، ولكنه لا يَرْضَى هَذِه السَّجِيَّة لَنَفْسِه، ويدعو الله أَنْ يُفَرِّجَ كُرُوبَهُ، ويَمْحُوَ ذُنُوبَهُ، التي كَشَفَتْ عُيُوبَهُ، ومن أهمها : هَفَوَات اللِّسان .

سَادِسًا : هَفَوَاتُ اللِّسَانِ :

إِنَّ كَثْرَةَ الكَلامِ من أسباب الهلاك، وعلى العَاقِلِ أَنْ يَكُونَ أَكْثَرُ كَلامِهِ فيما يَعُودُ عليه بالنَّفْعِ العَاجِل أو الآجِل، وقد جَاءَ في سُنَن التِّرْمِذِيّ (ت٢٧٩هـ) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : « سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ ؛ فَقَالَ : الفَمُ وَالفَرْجُ » (٥٨) .

وَقَدْ سَأَلَ مُعَاذٌ « النَّبِيَّ عَنِ العَمَلِ الَّذِي يُدْخِلُهُ الجَنَّةَ وَيُبَاعِدُهُ مِنَ النَّارِ ؛ فَأَخْبَرَهُ النَّبِيُّ بِرَأْسِهِ وَعَمُودِهِ وَذِرْوَةِ سَنَامِه، ثُمَّ قَالَ : أَلا أُخْبِرُكَ بِمِلاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ ؟ قَالَ : بَلَى يَا نبيّ اللَّهِ، فَأَخَذَ بِلِسَانِه، ثُمَّ قَالَ : كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا ؛ فَقَالَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ ؟ فَقَالَ : ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ عَلَى وُجُوهِهِمْ – أَو عَلَى مَنَاخِرِهِمْ – إِلاَّ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟»(٥٩) .

وهذا **عبد الرَّحْمَن بن بَدْر بن أَحْمد** يَعْتَرِفُ أنَّ لِسَانَهُ ضَيَّعَ لَذَّةَ طَعَامِهِ وشَرَابِه، وأسال دَمْعَهُ، وأَسْهَرَ مُقْلَتَهُ، وأحوجه إلى الاستغفار، يقول : (الوافر)

لِسَانِي كَانَ مِنْ أَعْدَاءِ قَلْبِي إِذَ الْزَمَهُ الذُّنُوبَ بِغَيرِ ذَنْبِ (٦٠)

وقد تَطَرَّقَ **السُّمَيسِر** إلى اللِّسَان وعُيُوبِهِ، وما يَجْلِبُهُ من شَرٍّ على الآخرين ؛ فَإِنَّ النارَ تُوقَدُ بِالكلامِ الخَبِيثِ الذي يَخْرُجُ مِنَ اللِّسَان، ويُثِيرُ العَدَاوَةَ والبَغْضَاءَ في النفوس، يقول : (المُجْتَث)

فَالنَّارُ بِالفَمِ تُطْفَا وَالنَارُ بِالفَمِ تُوقَدْ (٦١)

ويدعو **ابن حَمْديس الصَّقَلِيّ** رَبَّه قائلاً : (الخفيف)

وَأَجِرْنِي مِمَّا جَنَاهُ لِسَانِي وَتَنَاجَتْ بِهِ وَسَاوِسُ فِكْرِي (٦٢)

شَبَّهَ الشاعرُ اللسانَ بإنسان يَفْعَلُ الجرائم، وحَذَفَ المُشَبَّه به، وجاء بصفة من صفاته وهي (جَنَاهُ) ؛ لِيُدَلِّلَ على خُطُورة مَا يَصْدُرُ عَنِ اللِّسَان، ثُمَّ شَبَّه خَوَاطِرَ أَفْكَارِهِ، وهي أمر معنوي، بإنسان شرير يُزَيِّنُ لَهُ السُّوء، وقد اعتمد على التشخيص في طَلَبِ الحِمَايَةِ مِنْ هَفَوَاتِ اللسان، ووساوس الشيطان ؛ ليفوزَ بالنجاةِ من النار .

ويَسْتَعِيذُ **ابن لِيون التُّجِيبِيّ** (ت٧٥٠هـ) مِنْ شَرِّ اللِّسَانِ، يقول : (البسيط)

نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شَرِّ اللِّسَانِ كَمَا نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شَرِّ البَرِيَّاتِ
يَجْنِي اللِّسَانُ عَلَى الإِنْسَانِ مَيتَتَهِ كَمْ لِلِّسَانِ مِنْ آفَاتٍ وَزَلاتِ (٦٣)

يُحَاسَبُ الإِنْسَانُ عَلَى الكلام الذي يَخْرُجُ مِنْ فَمِه، وكَمْ مِنْ كلمةٍ خَبِيثَةٍ أَشْعَلَتْ فِتْنَة، وأودَتْ بحياة أبرياء، وأورَدَتِ الإِنْسَانَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ من النار؛ لذا فالصمت أَجْدَى من الكلامِ في غَيرِ مَحَلِّه .

سَابِعًا : شُرْبُ الخَمْرِ :

حَرَّم الإسلامُ شُرْبَ الخَمْرِ (أُمّ الخَبَائِث) ؛ لأنها مُفْسِدَةٌ للعقل، مُذْهِبَةٌ لِلمُرُوءَة، مُتْلِفَةٌ للمَالِ، جَالِبَةٌ للحُزْن، والمَرَض، والفقر .

وهذا **أبو عَقَّال بن غَلْبُون** (ت٢٩١هـ) يُسْرِفُ على نفسه في شَبَابِهِ، ويَشْرَبُ المُدَام، ويلهو مع الجواري، ويَرْكَبُ الجِيَادَ لِلنُّزْهَة، ويَسْتَمْتِعُ بِكُلِّ صُنُوف المُتْعَة، وبَعْدَ أَنْ يُصِيبَهُ الكِبَرُ، يَتَحَسَّر عَلَى ما بَدَرَ منه، ويَنْدَم على الوقت الذي أضاعه في غير ذِكْرِ اللهِ وطاعته، يقول : (المقارب)

شَرِبْتُ المُدَامَ، وَسُسْتُ القِيَانَ وَرُضْتُ الجِيَادَ، وَرُعْتُ الشِّدَادَا (٦٤)

وتُورِثُ الخمرُ شَارِبَهَا رُكُوبَ الذَّنْبِ، وما يَتْبَعُهُ مِنْ سُوءِ الخُلُق، يقول **ابن الزَّقَّاق البَلَنْسِيّ** (ت٥٣٠هـ) : (الرمل)

كَمْ حُمَيَّا أَورَثَتْ شَارِبَهَا بِرُكُوبِ الذَّنْبِ أَخْلاقَ الذَّمِيمِ (٦٥)

وتُتْلِفُ الخَمْرُ الدِّينَ، وتَقُودُ إلى الكَبَائِرِ، يقول **أبو زيد الفازازيّ** (ت٦٢٧هـ) : (الكامل)

الخَمْرُ مُتْلِفَةٌ لِدِينِكَ فَاحْذَرِ وَدَلِيلَةٌ نَحْوَ الخَنَا وَالمُنْكَرِ (٦٦)

ويقول : (الطويل)

رأَيتُ ذُنُوبَ العَالَمِينَ قَبِيحَةً وَأَقْبَحُهَا طُرًّا مُخَامَرَةُ الخَمْرِ (٦٧)

شُرْبُ الخَمْرِ يَجْعَلُ المَرْءَ يَرْتَكِبُ الفَوَاحِشَ، والمُنْكَرَات، ويُعْرِضُ عَنِ الخَيرَات، ويَصُدُّ عَنِ المَعْروف ؛ لِذَا يُعَدُّ مِنْ أقبحِ الذُّنُوبِ.

المَبْحَثُ الثَّانِي
مُؤَشِّرَاتُ الشُّعُورِ بِوَطْأَةِ الذُّنُوبِ

يُشِيرُ الشُّعُورُ بِالذَّنْبِ إلى مَظَاهِرِ الخَوفِ والحُزْنِ والخِزْيِ والنَّدَم، ولا شَكَّ في أن التوتُّر مُنْدَس في نسيج الوجودِ الإنسانيّ ؛ حيثُ تستندُ الصحة النفسيَّة إلى درجة من التوتر بين ما قَامَ به الفردُ بالفعل، وما ينبغي له أَنْ يَفْعَلَهُ في المُسْتَقْبَل .

أولاً : الخَوْفُ :

شَقَّ عَلَى المُذْنِبِ تَحَمُّلُ الخَوفِ من الله ؛ لذا لجأ إلى التوبة والاستغفار والندم ؛ فإن من آثار الذنوب « مَا يُلْقِيهِ اللَّهُ (ﷻ) مِنَ الرُّعْبِ وَالخَوْفِ فِي قَلْبِ العَاصِي ؛ فلا تَرَاهُ إلا خَائِفًا » (٦٨) .

وقد اعترف شُعَرَاءُ الأَنْدَلُسِ بِذُنُوبِهِمْ وتَقْصِيرِهِمْ، وطَمِعُوا في عَفْوِ اللهِ (ﷻ) وغُفْرَانِهِ

؛ فظهر في أشعارهم الخوف مِنَ المَوت، وما بعده .

أ) الخَوفُ مِنَ المَوتِ :

لا بُدَّ مِنْ أَنْ يَتَّعِظَ العَاقِلُ بِالمَوتِ، الذي يَقِفُ لَهُ بِالمِرْصَاد، وغيرُ خافٍ أَنَّ الخَوفَ مِنَ المَوتِ « طابعٌ أصليٌّ في الوجود ؛ حَتَّى في أشدِّ الناس طُمَأْنِينَة ... وإن اختلفت درجته واختلف مقدار الشعور به فيما بين الناس»(٦٩).

وهذا **ابن حزم** يَدْعُو اللهَ أَنْ يَرْحَمَهُ يومَ مَوتِهِ، ويُؤْنِسَ وَحْشَتَهُ في قَبْرِهِ ؛ فإنه سَيُحْمَلُ على نَعْشِه، ويُفَارِقُ أهله، وذَوِي رَحِمِه، ويَتْرُكُ ما كان يُسْعِدُهُ في الدنيا ؛ لِيُفْضِي إِلَى مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ مِنْ خَيرٍ أو شرّ ؛ لأنَّ العيشَ في الدنيا لَيسَ بِدَائِمٍ، يقول : (الطويل)

عَفَا اللهُ عَنِّي يومَ أَرْحَلُ ظَاعِنًا ... عَنِ الأَهْلِ مَحْمُولاً إِلَى بَطْنِ مُلْحِدِ
وَأَتْرُكُ مَا قَدْ كُنْتُ مُغْتَبِطًا بِهِ ... وَأَلْقَى الذِي آنَسْتُ مِنْهُ بِمَرْصَدِ (٧٠)

فـي البيتـين إشـارة مُسْـتَمِرَّة إلـى الـذات ؛ فهـو يتحـدث عـن نفسـه – ويتضح ذلك من استخدام ضمائر المُتَكَلِّم (المُتَّصِلَة والمُسْتَتِرَة)، مثل : (عَنِّي – أَرْحَلُ – أَتْرُكُ – كُنْتُ – أَلْقَى – آنَسْتُ) – لأنه يُرِيدُ أَنْ يُعَبِّر عَمَّا يعتمل في صَدْرِهِ من حُزْنٍ كبير ؛ لَعَلَّهُ بهذا يُنَفِّسُ عن نَفْسِهِ، ويُخَفِّفُ آلامَهُ الناتجة من التفكير في هَولِ سَاعَةِ الاحْتِضَارِ، وما بعدها .

ويُكَرِّرُ **أبو إسحاق الإلبيريّ** ضمير المُخَاطَب (أنت) مرتينِ ؛ لِحَثِّ الغَافِلِ علـى المسـارعة إلـى الخيـرات ؛ فهـو المقصـودُ – دون غيـره – بنـداء المَنِيَّـة، الـذي يَخْتَـرِمُ الطِّفْلَ وَالمُسِـنَّ، والمُلُـوك والسُّـوقَة، ولا يَنْجُـو مِـنْ قَبْضَـتِهِ أحدٌ، يقول : (الوافر)

وَتَدْعُوكَ المَنُونُ دُعَاءَ صِدْقٍ : أَلا يَا صَاحِ : أَنْتَ أُرِيدُ، أَنْتَا ! (٧١)

لقد سَتَرَ اللَّحْدُ إخوان **القاضي أبي الوليد بن الباجي**، وجَاءَهُ نَذِيرُ المَوتِ، الذي لا مَفَرَّ منه، وصَارَ إذا أصبح لا ينتظرُ المَسَاءَ، وإذا أمسى لا يتطلَّعُ إلى العَيشِ حَتَّى الصَّبَاحِ، يقول : (الطويل)

وَقَدَّمْتُ إِخْوَانِي وَأَهْلِي فَأَصْبَحُوا تَضُمُّهُمُ أَرْضٌ، وَيَسْتُرُهُمْ لَحْدُ
وَجَاءَ نَذِيرُ الشَّيبِ لَو كُنْتُ سَامِعًا لِوَعْظِ نَذِيرٍ لَيسَ مِنْ سَمْعِهِ بُدُّ
وَهَا أَنَا مِنْ وِرْدِ الحِمَامِ عَلَى مَدًى أُرَاقِبُ أَنْ أُمْسِي لَدَيهِ وَأَنْ أَغْدُو (٧٢)

ويُؤثِرُ **أَبُو مُحَمَّد عبد الله بن حَذْلَم** الاستعدادَ للموتِ بِزَادٍ وَفِيرٍ من التقوى، بدلاً من اللهو في يوم العيد ؛ لأَنَّهُ دائمُ الخوف من الموت ؛ لِعِلْمِهِ أَنَّ كُلَّ يَومٍ يَمُرُّ من حياته لَنْ يعودَ ثانيةً، يقول : (المتقارَب)

يَقُولُونَ لِي : خَلِّ عَنْكَ الأَسَى وَلُذْ بِالسُّرُورِ فَذَا يَومُ عِيدْ
فَقُلْتُ لَهُمْ وَالأَسَى غَالِبٌ وَوَجْدِيَ يَحْيَا وَشَوقِي يَزِيدْ :
تَوَعَّدَنِي مَالِكِي بِالفِرَاقِ فَكَيفَ أُسَرُّ وَعِيدِي وَعِيدْ ؟ (٧٣)

وبعد أن طَالَ عُمْرُ **ابن حمديس الصَّقَلِّي** حَتَّى بَلَغَ ثمانينَ عامًا، وصَارَ المَوتُ قَابَ قَوسَينِ أَو أَدْنَى، تَخَيَّل صُورَةَ المَوتِ فِي عينه، وتَمَلَّكَهُ الفَزَعُ، واسْتَبَدَّتْ به الرَّهْبَة، يقول : (الطويل)

أَرَى المَوتَ فِي عَينَي تَخَيُّلَ شَخْصُهُ وَلِي عُمُرٌ فِي مِثْلِهِ يَتَّقِي مِثْلِي (٧٤)

ويُعَبِّرُ **ابن خفاجة** عن الضِّيقِ الذي يَنْتَابُهُ كُلَّما استشعر اقتراب النهاية، وكيف يَسْعَدُ العَاقِلُ، أو يَأْمَنُ، ونهايته الموت، يقول : (الطويل)

وَهَلْ مِنْ سُرُورٍ أَو أَمَانٍ لِعَاقِلٍ وَمُفْضِي عُبُورِ الغَابِرِينَ إِلَى المَوتِ(٧٥)

وَيَجْعَلُ **مُحَمَّد بن مُحَمَّد المعروف بابن اليثربيّ** (ت٥٦٠هـ) الموتَ رِحْلَةَ المُقِيمِينَ في الدنيا إلى الآخرة، أي الانتقال من دار الفناء إلى داء البقاء ؛ فَإِنَّهُ لَيسَ منه مَهْرَبٌ، يقول : (الطويل)

أَرَى كُلَّ يَومٍ لِلمُقِيمِينَ رِحْلَةً وَلا شَكَّ أَنِّي فِيهِمُ سَوفَ أَرْحَلُ (٧٦)

ويُذَكِّرُ الشيبُ **أبا بَكْر الكُتُنْدِيّ** (ت٥٨٣ أو ٥٨٤هـ) قُرْبَ المَوتِ فَيَبْكِي، ويشاركُ الحَمامَ فِي بُكَائِهِ، يقول : (الوافر)

لأَمْرٍ مَا أُكَابِدُ كُلَّ شَجْوٍ إِذَا سَجَعَتْ عَلَى الأَيكِ الحَمَامُ

لأَنَّ بَيَاضَهَا كَبَيَاضِ شَيبِي فَمَغْنَى سَجْعِهَا قُرْبَ الحِمَامُ (٧٧)

ويقول **أبو عبد الله الراعي** (ت٨٥٣هـ) : (الطويل)

أُفَكِّرُ فِي مَوتِي وَبَعْدُ فَضِيحَتِي فَيَحْزَنُ قَلْبِي مِنْ عَظِيمِ خَطِيئَتِي(٧٨)

مَعَ كِبَرِ السِّنِّ تَسْكُنُ النَّفْسُ عَادَةً، ويَخِفُّ سُلْطَانُ الشَّهْوَة، ويَذْهَبُ النَّومُ، وتَبْكِي العَينُ ؛ فَزَعًا مِنَ الذنوب، وخوفًا من الموت ؛ فإِنَّ المُقَامَ في الدنيا – مَهْمَا طَالَ – قَصِير، يقول **عبد الكريم القيسيّ** : (الوافر)

مُرُورُ الأَرْبَعِينَ أَطَارَ نَومِي وَأَجْرَى فَوقَ صَفْحِ الخَدِّ دَمْعِي

وَعِلْمِي بِالرَّحِيلِ غَدًا وَتَرْكِي مِنَ اهْلِي مَنْ غَدَا بَصَرِي وَسَمْعِي(٧٩)

وليس بخافٍ أَنَّ الإحساسَ بالخوف مِنَ المَوتِ مِنَ المَشَاعِرِ التي تُؤَرِّق الإنسان وتُنَغِّص عَيشَهُ، وقد بَلَغَ الخَوفُ مِنَ المَوتِ مَبْلَغَهُ فِي نُفُوسِ شُعَرَاءِ الأَنْدَلُسِ ؛ حَتَّى إِنَّهُمْ إِنْ أَرَادُوا وَصْفَ أكثر الأمورِ إِثَارَةً لِلفَزَعِ عِنْدَهُم قَالُوا : هُوَ المَوتُ .

ب) الخَوفُ مِنَ القَبْرِ :

بَعْدَ مَوتِ الإنسانِ يَنْزِلُ أَوَّلَ مَنَازِلِ الآخرة، وهو القبر، وإما أن يكونَ رَوضةً من رِيَاضِ الجَنَّة، وإما أَنْ يَكُونَ حُفْرَةً من حُفَرِ النار، ويَنْصَرِفُ عَنْهُ الأهلُ والأَحْبَابُ، ويَنْسَاهُ الأصدقاءُ، ويَبْلَى عَظْمُهُ ؛ فكأنه ما كان، ولا يَنْفَعُهُ وَقْتَئِذٍ إلا زَادُهُ المُعَدّ من عَمَلٍ صَالِحٍ .

وهذا **بَكْرُ بن حَمَّاد** يؤكدُ أَنَّ مَنْظَرَ القُبُورِ يُثِيرُ الفَزَعَ في نُفُوسِ الإحياء، وفيه عِبْرَةٌ لأُولي الألباب، عندما يَتَخَيَّلُونَ ما كانوا فيه مِنْ نَعِيم وأُنس، وكيف تَرَكُوا كُلّ شَيء، وغَادَرُوا الدُّنْيَا لا يَمْلِكُونَ شيئًا، وذهبوا إلى مكانٍ يَسْتَوِي فيه المَولى والعَبْد، يقول : (البسيط)

قِفْ بِالقُبُورِ فَنَادِ الهَامِدِينَ بِهَا مِنْ أَعْظُمٍ بَلِيَتْ فِيهَا وَأَجْسَادِ
قَومٌ تَقَطَّعَتِ الأَسْبَابُ بَينَهُمُ مِنَ الوِصَالِ وَصَارُوا تَحْتَ أَطْوَادِ(٨٠)

ويُجَسِّدُ **أبو إسحاق الإلبيريّ** الصِّرَاعَ النفسيّ الذي يعيشه ساكن القبر من خلال التقابُل بين لفظتي : (ضِيق – انفساح) ؛ فيَسْعَدُ المُحْسِنُ بإحسانه، ويَتَنَعَّمُ فِي قَبْرِهِ الوَاسِع، ويَتَحَسَّرُ المُذْنِبُ على رُكُوبِ الذَّنْبِ، ويذوقُ العَذَابَ في قبره الضَّيِّق، يقول : (الوافر)

وَيَحْمِلُنِي إِلَى الأَجْدَاثِ صَحْبِي إِلَى ضِيقٍ هُنَاكَ أَوِ انْفِسَاحِ (٨١)

ويُوَضِّحُ **ابن حَمْدِيس الصَّقَلِّيّ** أنَّ شَيبَ الرَّأْسِ يُصَاحِبُهُ بَيَاض الكَفَن، وذَهَابَ النَّهَارِ يَتْبَعُهُ حَلَكَة القَبْر، يقول : (البسيط)

إِنَّ اللَّيَالِيَ وَالأَيَّامَ يُدْرِكُهَا شَيبٌ وَيَعْقُبُهَا مِنْ بَعْدِهِ هُلُكُ
فَشَيبُ لَيلِكَ مِنْ إِصْبَاحِهِ يَقَقٌ وَشَيبُ يَومِكَ مِنْ إِمْسَائِهِ حَلَكُ (٨٢)

ويدعو **ابن الصَّبَّاغ** رَبَّهُ أَنْ يُنْقِذَهُ مِن عَذَابِ القَبْرِ، الذي تَطُولُ الإقامةُ فيه ؛ حيثُ يَظَلُّ مُنْفَرِدًا حَبِيسًا مُنْتَظِرًا يوم الجزاء : (الكامل)

يَا مُوجِدِي كُنْ مِنْ عَذَابِكَ مُنْقِذِي وَارْحَمْ بِذُلِّ اللَّحْدِ طُولَ ثَوَائِي
مَنْ لِي إِذَا أُفْرِدْتُ وَحْدِي فِي الثَّرَى وَبَقِيتُ مُرْتَهَنًا لِيَومِ جَزَائِي (٨٣)

ويُكَرِّرُ **أبو بكر مُحَمَّد بن ولاّد الشَّلْطيشيّ** المعنى نفسه في قوله : (البسيط)

أَرْجُوكَ يَا رَبِّ فِي سِرِّي وَفِي عَلَنِي إِنَّ الرَّجَاءَ إِلَيكَ اليَومَ يَحْمِلُنِي
مَنْ ذَا يُؤَنِّسُنِي فِي القَبْرِ مُنْفَرِدًا إِنْ لَمْ تَكُنْ أَنْتَ يَا مَولايَ تُؤْنِسُنِي(٨٤)

ويؤكد **ابن النَّشا الوادي آشي** (ت٧٠٠هـ) أنَّ مُدَّة الإقامةِ في القَبْر (حياة البرزخ) طويلة المَدَى، يقول : (مُخَلَّع البسيط)

وَعَنْ قَرِيبٍ أَحُلُّ قَبْرًا أُطِيلُ فِي قَعْرِهِ المُقَامَا (٨٥)

وكيف يَلْهُو شيخًا بَلَغَ الخَمْسِينَ مِنْ عُمْرِهِ، يقول **عبد الكريم القيسي** : (الطويل)

أَيَلْهُو امْرُؤٌ مِثْلِي صِبَاهُ قَدِ انْقَضَى بِخَمْسِينَ عَامًا قَدْ تَوَلَّتْ مِنَ العُمْرِ
وَيَجْنَحُ لِلدُّنْيَا اغْتِرَارًا، وَإِنَّهُ سَيَرْحَلُ عَنْهَا عَنْ قَرِيبٍ إِلَى القَبْرِ
إِلَى جَدَثٍ بَيتِ التَّغَرُّبِ وَالبِلَى يُقِيمُ بِهِ حَتَّى القِيَامَةِ وَالحَشْرِ (٨٦)

يَتْبَعُ المَوتُ أَهْوَالاً شديدة، أَوَّلُهَا فِتْنَةُ القَبْرِ، ثُمَّ البَعْث، ثُمَّ الصِّرَاط المُسْتَقيم، ومَنْ يَنْجُ مِنْ هذه الأهوالِ، يَفُزْ بِجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاواتُ والأَرْضُ .

ج) الخَوفُ مِنَ الحِسَابِ :

تَكَادُ القُلُوبُ تَنْخَلِعُ مِنْ أَمَاكِنِهَا يومَ القِيَامَةِ مِنْ هَولِ مَا تَرَى ؛ فقد اقتربت ساعةُ القِصَاص، يَومَ يَحْظَى الصَّادِقُونَ بِصِدْقِهِمْ، ويَجْنِي الظَّالِمُونَ عَاقِبَةَ أَمْرِهِمْ .

وهذا **ابن الفَرَضِيّ القُرْطُبِيّ** (ت٤٠٣هـ) يخافُ عَاقِبَةَ ذُنُوبِهِ، التي لا تخفى على خَالِقِه، وفي الوقت نفسه يَرْجُو رَحْمَتَهُ، ويَدْعُوه ألا يَفْضَحهُ عندما تُنْشَرُ صَحِيفَتُهُ يوم الحِسَابِ، ويَجِدُ أعمالَه مَاثِلَةً بين يديه، يقول : (الطويل)

أَسِيرُ الخَطَايَا عِنْدَ بَابِكَ وَاقِفُ عَلَى وَجَلٍ مِمَّا بِهِ أَنْتَ عَارِفُ
يَخَافُ ذُنُوبًا لَمْ يَغِبْ عَنْكَ عَيبُهَا وَيَرْجُوكَ فِيهَا فَهْوَ رَاجٍ وَخَائِفُ
وَمَنْ ذَا الذِي يَرْجُو سِوَاكَ وَيَتَّقِي وَمَا لَكَ مِنْ فَضْلِ القَضَاءِ مُخَالِفُ ؟
فَيَا سَيِّدِي لا تُخْزِنِي فِي صَحِيفَتِي إِذَا نُشِرَتْ يَومَ الحِسَابِ الصَّحَائِفُ(٨٧)

ويُعَاتِبُ **ابنُ حزم** نَفْسَهُ بَعْدَ أَنْ جَعَلَتْهُ الذُّنُوبُ ذليلاً ضعيفًا، ويَتَضَرَّع إلى الله طالبًا العفو والمَغْفِرَة، ويؤكد أَنَّ حَسْرَةَ العَبْدِ على مَا قَدَّمَتْهُ يَدَاهُ من ذُنُوبٍ يوم القيامة شديدة، يقول : (الطويل)

إِلَى تَبِعَاتٍ فِي المَعَادِ وَمَوقِفٍ نَوَدُّ لَدَيهِ أَنَّنَا لَمْ نَكُنْ كُنَّا (٨٨)

ويُذَكِّرُ **ابن حمديس الصَّقَلِيّ** المُذْنِبَ بِمَا يَنْتَظِرَهُ مِنْ حِسَابٍ دَقِيقٍ على أعماله، وسَيرٍ على الصِّرَاطِ لا يَنْجُو منه إلا الصالحونَ، وقد استخدم (أي) الاستفهامية ؛ للتهويل مِنْ عَذَابِ يَومِ القِيَامة، يقول : (الرمل)

أَيُّ خَطْبٍ فَادِحٍ فِي رَقْدَةٍ يُوقِظُ الحَشْرُ إِلَيهَا مُقْلَتَيكْ
وَصِرَاطٍ لَسْتَ بِالنَّاجِي إِذَا وَطِئَتْهُ زَلَّةٌ مِنْ قَدَمَيكْ (٨٩)

ويَخَافُ **أُمَيَّة بن عبد العزيز بن أَبِي الصَّلْت الأندلسيّ** (ت٥٢٩هـ) مِنَ الحِسَابِ يوم المَعَادِ ؛ لكثرة الذنوب، وقِلَّةِ الزَّاد، يقول : (الطويل)

وَأَعْظَمُ مَا فِي الأَمْرِ أَنِّيَ صَائِرٌ إِلَى عَادِلٍ فِي الحُكْمِ لَيسَ يَجُورُ
فَيَا لَيتَ شِعْرِي كَيفَ أَلْقَاهُ عِنْدَهَا وَزَادِي قَلِيلٌ، وَالذُّنُوبُ كَثِيرُ
فَإِنْ أَكُ مَجْزِيًّا بِذَنْبِي ؛ فَإِنَّنِي بِحَرِّ عَذَابِ المُذْنِبِينَ جَدِيرُ (٩٠)

تسيطر الذنوبُ عَلَى تَفْكِيرِهِ، وتُنَغِّصُ عَيشَهُ، ويُؤَيِّدُ ذلك تكرار لفظ (الذُّنُوب) في قوله : (الذنوب – ذنبي – المُذْنِبِينَ)، وكأنه لا يوجد لفظ غيره أورده المهالك .

ويستخدمُ **ابن خفاجة** كلمة (كُلّ) لِيَدُلَّ على العُمُوم والشُّمُول ؛ فَإِنَّ كُلَّ فَرْدٍ مُحَاسَبٌ على ما فعل ؛ لذا عليه أَنْ يَتَجَنَّبَ مَا لا يَسُرُّه رُؤْيَته في صَحِيفَتِهِ، يقول : (المتقارب)

وَكُلٌّ مَدِينٌ بِمَا كَانَ دَانَ فَثَمَّ الجَزَاءُ، وَثَمَّ الحِسَابْ
فَلا تُجْرِ كَفَّكَ فِي مُهْرَقٍ بِمَا لا يَسُرُّ هُنَاكَ الكِتَابْ (٩١)

ويُحَذِّرُ **أبو حفص عُمَر بن حسن بن السَّطَبْرَق** من اقتراف المعاصي؛ فَإِنَّ صحيفةَ أعمالِ المُذْنِب لا تُغَادِرُ صَغِيرَةً ولا كبيرة، ويوم الحساب سَيَجِدُ ذنوبًا كثيرة، طوتها يَدُ النِّسْيَان، يقول : (الوافر)

سَيَلْقَى العَبْدُ مَا كَسَبَتْ يَدَاهُ وَيَقْرَأُ فِي الصَّحِيفَةِ مَا جَنَاهُ
وَيُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبٍ سَالِفَاتٍ فَيَبْقَى حَائِرًا فِيمَا دَهَاهُ (٩٢)

وتَجْعَلُ الذُّنُوبُ حِسَابَ المُذْنِبِ عَسِيرًا ؛ حيثُ يُسْأَلُ عَمَّا كَسَبَتْهُ يَدَاهُ ؛ فيَحْزَن لإِساءَتِهِ، يقول **ابن جابر** : (الوافر)

تُخَوِّفُنِي الذُّنُوبُ، وَأَيُّ أَمْنٍ لِمَنْ يُدْعَى : هَلُمَّ لِمَا كَسَبْتَا (٩٣)

وتَخْضَعُ الأَعْنَاقُ يومَ القِيَامَةِ لِلَّهِ الوَاحِدِ القَهَّار، يقول **عبد الكريم القيسي** : (البسيط)

وَالبَعْثُ وَالحَشْرُ ثُمَّ العَرْضُ بَعْدَهُمَا فِي مَوقِفٍ خُصَّ فِيهِ المَرْءُ بِالفَرَقِ
نَاهِيكَ مِنْ مَوقِفٍ لِلخَوفِ قَدْ خَضَعَتْ فِيهِ الرِّقَابُ ؛ فَكُلٌّ خَاضِعُ العُنُقِ(٩٤)

إِنَّ لِلمَوتِ سَكَرَاتٍ شَدِيدة، لَو نَزَل أَهْوَنُهَا عَلَى جَبَلٍ لَدَكَهُ، وما بَعْدَ المَوتِ أَصْعَبُ منه ؛ فَإِنَّ القَبْرَ مُفْزِعٌ، ويَتْلُوهُ البَعْثُ وَالحَشْرُ، ثُمَّ العَرْضُ .

د) الخَوفُ مِنَ النَّارِ :

إِنَّ نَارَ جَهَنَّمَ قَعْرُها بَعِيد، كَظُلْمَةِ الليلِ البَهِيم، وَحَرُّهَا شَدِيد، ولَذْعُهَا أَلِيم، ينتقلُ صَاحِبُهَا مِنْ عَذَابٍ إلى عَذَاب ؛ وهي مآلُ المُذْنِبِينَ ؛ فعلى العاقلِ الوِقَايَةُ مِنْهَا، والانشغالُ بِذِكْرِهَا عَنِ النَّومِ والشَّهَوَات .

إِنَّ نَارَ جَهَنَّمَ لا تُبْقِي ولا تَذَرُ لِلظَّالِمِينَ شيئًا، والشَّقِيُّ مَنْ دَخَلَ النَّار، وبِئْسَ المَصِير الذي ينتظره ؛ لأَنَّه أَصَرَّ عَلَى المَعْصِيَة، وتَجَاوَز الحَدَّ فِي إِتْيَانِهَا، يقول **ابن عبد رَبِّه الأندلسيّ** (ت٣٢٨هـ) : (البسيط)

عَاينْ بِقَلْبِكَ إِنَّ العَينَ غَافِلَةٌ عَنِ الحَقِيقَةِ، وَاعْلَمْ أَنَّهَا سَقَرُ
سَودَاءُ تَزْفُرُ عَنْ غَيظٍ إِذَا سُعِرَتْ لِلظَّالِمِينَ فَلا تُبْقِي وَلا تَذَرُ
إِنَّ الذِينَ اشْتَرَوا دُنْيَا بِآخِرَةٍ وَشِقْوَةً بِنَعِيمٍ سَاءَ مَا تَجَرُوا (٩٥)

وقد كَتَبَ **أبو إسحاق الإلبيريّ** قصيدة طويلة من سبعة وثلاثين بيتًا، ينتهي كل بيت فيها بكلمة (النار)، يُفَصِّلُ فيها مشاهد العذاب الأليم الذي يُقَاسِيه أهلُ جَهَنَّم، واستهلها بقوله : (السريع)

وَيلٌ لأَهْلِ النَّارِ فِي النَّارِ مَاذَا يُقَاسُونَ مِنَ النَّارِ

تَنْقَدُّ مِنْ غَيظٍ فَتَغْلِي بِهِمْ كَمِرْجَلٍ يَغْلِي عَلَى النَّارِ
فَيَسْتَغِيثُونَ لِكَي يُعْتَبُوا أَلا لَعَا مِنْ عَثْرَةِ النَّارِ
وَكُلُّهُمْ مُعْتَرِفٌ نَادِمٌ لَو تُقْبَلُ التَّوبَةُ فِي النَّارِ (٩٦)

تَدُلُّ هذا الأبيات على فَزَعِ الشَّاعِرِ مِنْ نَارِ جَهَنَّم، ويَتَّضِحُ هذا الخوف – جَلِيًّا – في تكرار كلمة (النار)، التي تَغْلِي بِمَنْ فيها غيظًا، وتُحِيطُ بِهِ إِحَاطَةً تامَّة، ولا يَجِدُ مُغِيثًا، على الرغم مِنْ نَدَمِهِ ؛ لأنَّ وَقْتَ التوبةِ قَدْ فَات .

وهو لا يُنْكِرُ أَنَّ أَهْلَ النَّارِ يستحقون ذلك بما فَعَلُوهُ فِي الدُّنْيَا ؛ فهو جزاءٌ عادلٌ، وقد استخدم اسم الفاعل (مُعْتَرِف – نَادِم) ؛ ليفيدَ الثُّبُوت والدَّوَام، واستخدم حرف الشرط (لو) الذي يتضمن معنى التَّمَنِّي ؛ ليؤكد أَنَّ جُلَّ تَفْكِيرِ أَهْلِ النَّارِ في قَبُولِ تَوبَتِهِمْ .

وعلى المَرْءِ أَنْ يَقِي نَفْسَهُ مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ ؛ فَإِنَّ الصَّبْرَ على طَاعَةِ اللهِ، أهونُ مِنَ الصَبْرِ عَلَى عَذَابِ اللهِ، وعندما يَشْعُرُ المُذْنِبُ بِالرَّهْبَة ؛ يَكُفّ – طَوَاعِيَةً – عن سُوءِ فِعْلِهِ، ويُسَارِعُ إلى التَّوبَة، يقول **ابن حَمْدِيس الصَّقَلِيّ** : (الكامل)

يَا رَبِّ إِنَّ النَّارَ عَاتِيَةٌ وَبِكُلِّ سَامِعَةٍ لَهَا حَسُّ
لا تَجْعَلَنْ جَسَدِي لَهَا حَطَبًا فِيهِ تُحَرَّقُ مِنِّيَ النَّفْسُ
وَارْفُقْ بِعَبْدٍ لَحْظُهُ جَزِعٌ يَومَ الحِسَابِ، وَنُطْقُهُ هَمْسُ (٩٧)

يَرْتَعِدُ المُذْنِبُ فَزَعًا من أَهْوَالِ النَّارِ العَاتِيَة، ويُعْلِنُ عَجْزَهُ عن تَحَمُّلِهَا، ثُمَّ يَتَوَسَّلُ إلى اللهِ ألا يَحْرِقَ جَسَدَهُ بالنار، وأن يَرْفُقَ بِحَالِهِ في مَوقِفٍ شَدِيدِ الهَوْل .

ثانيًا : الحُزْنُ :

تَفِيضُ دُمُوعُ المُذْنِبِ مِنْ خَوفِ الذُّنُوبِ، وعِنْدَ البُكَاءِ تَنْزِلُ الرَّحْمَة، ويُغْفَر الذَّنْبَ ؛ فيَنْجُو المُجْرِمُ من عَذَابِ السَّمُوم ؛ فإنَّ البُكَاءَ عَلَى الذُّنُوبِ يَمْحُو الخَطِيئة، وهو مِنْ أَمَارات رِقَّة القلب .

وهذا **أبو إسحاق الإلبيريّ** يَبْكِي على ذُنُوبِهِ بِدُمُوعٍ غَزِيرة ؛ بُغْيَةَ النَّجَاةِ مِنْ عذاب النار، يقول : (الوافر)

وَمَا آسَى عَلَى الدُّنْيَا وَلَكِنْ عَلَى مَا قَدْ رَكِبْتُ مِنَ الذُّنُوبِ
فَيَا لَهْفِي عَلَى طُولِ اغْتِرَارِي وَيَا وَيحِي مِنَ اليَومِ العَصِيبِ
إِذَا أَنَا لَمْ أَنُحْ نَفْسِي وَأَبْكِي عَلَى حُوبِي بِتَهْتَانٍ سَكُوبِ
فَمَنْ هَذَا الذِي بَعْدِي سَيَبْكِي عَلَيهَا مِنْ بَعِيدٍ أَو قَرِيبِ (٩٨)

ويُجَسِّمُ **ابن حمديس** الذنوبَ، وهي أمرٌ مَعْنَوِيّ ؛ فيجعلها سِلْعَةً تُبَاعُ وتُشْتَرَى، على سبيل الاستعارة المَكْنِيَّة، وكُلَّمَا امْتَدَّ عُمْرُهُ زَادَتْ ذُنُوبُهُ ؛ لذا يُعَدُّ مِنَ الخَاسِرِينَ ؛ فيَذْرِف الدَّمْعَ الغَزِيرَ من خشية الله، يقول : (الطويل)

أَبِيعُ مِنَ الأَيَّامِ عُمْرِي، وَأَشْتَرِي ذُنُوبًا كَأَنِّي حِينَ أَخْسَرُ أَرْبَحُ
فَهَلاَّ أَذَبْتُ القَلْبَ مِنْ حُرَقِ الأَسَى وَصَيَّرْتُهُ دَمْعًا مِنَ العَينِ يُسْفَحُ (٩٩)

ويُشَبِّهُ القَلْبَ القاسي بِمَعْدِنٍ صُلْب قَابِل للذوبان بدُمُوع التَّوبَة ؛ نَدَمًا على صَبْوَةِ الشَّبَابِ وجَهْلِهِ، ويُوَجِّهُ النصيحةَ للغافل باستخدام فعل الأمر (أَذِبْ)، الذي يحمل معنى طهارة القلب تَمامًا من الذنوب الكثيرة، التي أنهكت الملائكة في إِحْصَائِهَا، يقول : (المتقارب)

أَذِبْ مِنْكَ قَلْبًا تُجَارِي بِهِ سَوَابِقَ عَبْرَتِكَ السَّاكِبَهْ
عَلَى كُلِّ ذَنْبٍ مَضَى فِي الصِّبَا وَأَتْعَبَ إِثْبَاتُهُ كَاتِبَهْ (١٠٠)

ويرثي **ابن خفاجة** نَفْسَهُ، ويَلُومُهَا عَلَى الإِفْرَاطِ فِي الجَهْلِ، بَعْدَ أَنْ بلغ إحدى وثمانين عامًا، ويبكي ذُنُوبَهُ، التي أَسْخَنَتْ عَينَيهِ، وأقضَّتْ عليه مَضْجَعَهُ، يقول : (الرمل)

أَيُّ أُنْسٍ أَو غِذَاءٍ أَو سِنَهْ لابْنِ إِحْدَى وَثَمَانِينَ سَنَهْ
تَارَةً تَسْطُو بِهِ سَيِّئَةٌ تُسْخِنُ العَينَ وَأُخْرَى حَسَنَه (١٠١)

يبدأ بـ(أيّ الاستفهامية)، التي تَحْمِلُ معنى النفي ؛ فبعد أَنْ تَقَدَّمَ به العُمْرُ، صار لِزَامًا عليه أَنْ يَهْجُرَ اللَّهْو، والطَّعَام اللَّذِيذ، والنَّوم العَمِيق، ويَتَّجِه إلى التفكير في الموت ؛ فلم يَتَبَقَّ إلا اليسير، وقد جَاءَهُ النَّذِيرُ .

إِنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْؤُولٌ عَنْ عَمَلِهِ، ومَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ – من خير أو شرّ – يَرَهُ ؛ فَإِنَّ عذابَ الآخِرَةِ لَشَدِيد، ولا بُدَّ مِنَ البُكَاءِ على التفريطِ أيام الشباب ؛ لأنَّ العَينَ التي تبكي مِنْ خَشْيَةِ اللهِ، لا تَمَسُّهَا النَّار، يقول **ابن الإقليشيّ** مُخَاطِبًا نَفْسَهُ : (الطويل)

فَيَا أَحْمَدَ الخَوَّانَ قَدْ أَدْبَرَ الصِّبَا وَنَادَاكَ مِنْ سِنِّ الكُهُولَةِ هَاتِفُ
فَهَلْ أَرَّقَ الطَّرْفَ الزَّمَانُ الذِي مَضَى وَأَبْكَاهُ ذَنْبٌ قَدْ تَقَدَّمَ سَالِفُ
فَجُدْ بِالدُّمُوعِ الحُمْرِ حُزْنًا وَحَسْرَةً فَدَمْعُكَ يُنْبِي أَنَّ قَلْبَكَ آسِفُ (١٠٢)

إِنَّ تَذَكُّرَ يومَ الحَشْرِ يَجْعَلُ **أبو الربيع سليمان المُوَحِّدِيّ** يَرْتَجِفُ من المعاصي التي ارتكبها في حياته، ويَلْعَنُ صَاحِبَ السُّوء الذي ساعده على اقتراف الفواحش، يقول : (الطويل)

إِذَا مَا ذَكَرْتُ المَوتَ فَاضَتْ مَدَامِعِي عَلَى كُلِّ مَا فَرَّطْتُ فَيضَ السَّحَائِبِ
وَأَذْكُرُ يَومَ الحَشْرِ إِنْ جِئْتُهُ غَدًا وَذَنْبِي مَعِي، وَالذَّنْبُ أَخْبَثُ صَاحِبِ
وَلَكِنْ أُرَجِّي اللهَ فِي كُلِّ حَالَةٍ وَأَخْشَى بِمَا قَدَّمْتُ سُوءَ العَوَاقِبِ(١٠٣)

ويَجْعَلُ **ابنُ الصَّبَّاغِ** مَرَضَ الجَوَانِحِ (الذُّنُوب) لا يُشْفَى إلا بطُول البُكَاء، وَقَلَّ لِمُجْرِمٍ تَدَانَتْ خُطَاهُ أَنْ يبكي دمًا، يقول : (الكامل)

يَبْكِي عَلَى مَا فَاتَهُ مِنْ عُمْرِهِ وَبِقَلْبِهِ نَارُ التَّأَسُّفِ تُضْرَمُ
يَرْجُو وَيَأْمُلُ وَالذُّنُوبُ تُخِيفُهُ وَالعَفْوُ يَمْحُو مَا جَنَاهُ المُجْرِمُ
وَكَآبَةُ المَحْزُونِ تُظْهِرُ حَالَهُ وَالصَّبُّ إِنْ رَامَ التَّسَتُّرَ يُعْلَمُ(١٠٤)

ويُكَرِّرُ **ابن الجَنَّان الأنصاريّ** (ت نحو ٦٥٥هـ) المعنى نفسه، يقول : (الخفيف)

فَإِذَا مَا تَذَكَّرَ الذَّنْبَ فَاضَتْ مُقْلَتَاهُ وَاغْرَورَقَتْ بِالدُّمُوعِ(١٠٥)

على العاقلِ أَنْ يَبْكِي دَمًا على سُوءِ فِعْلِهِ ؛ بُغْيَةَ غُفْرَانَ ذَنْبِه ؛ فَإِنَّ البَاكِي مِنْ خَشْيَةِ اللهِ يُعْطَى أَجْرُهُ بغير حساب، والبكاء على الذنوب مِنْ مَفَاتِيح التَّوبَة .

ثالثًا : الخِزْي :

يَعْنِي الخِزْيُ الحياء من أثر الفَضِيحَة، ومفهوم الخِزْي من المفاهيم البارزة في تَطَوُّر الشخصيَّة [١٠٦] ؛ فإنَّ مَشَاعِرَ الخِزْي المُؤْلِمَة مُرْتَبِطَة بنظرة الآخرين إلى المُذْنِب في الدنيا، والعِقَاب الذي ينتظره في الآخرة .

وهذا **إبراهيم بن خَلَف العَامِرِيّ** (ت٥٧٢هـ) يدعو رَبَّهُ أَنْ يُنَجِّيهِ مِنْ هَولِ الحِسَابِ يوم القيامة، يقول : (الطويل)

وَلا تُخْزِنِي يَومَ الحِسَابِ وَهَولَهُ إِذَا جِئْتُ مَذْعُورًا مِنَ الهَولِ وَالرُّعْبِ [١٠٧]

وبعد أن استولى الشُّعُورُ بالخِزْي على **ابن الصَّبَّاغ** تَخَيَّلَ نَفْسَهُ في الموقف العظيم يوم الجزاء، وقد دُعِيَ للحساب، ونُشِرَتْ صحيفته بما فيها من سيئاتٍ، تَجَاوَزَت عَدَدَ الرَّمْلِ في الإحصاء، وعُوتِب على تَقْصِيرِهِ فِي الدُّنْيَا، وبَحَثَ عَنْ سبيلٍ للنجاة، ولكن لا ملجأ من الله إلا إليه، يقول : (الكامل)

مَنْ لِي إِذَا مُثِّلْتُ بَينَ يَدَيكَ فِي نَادِي الجَزَا وَالنَّاسُ فِي الغَمَّاءِ ؟
مَنْ لِي إِذَا نُشِرَتْ عَلَيَّ صَحِيفَةٌ تُنْبِي بِمَا أَخْفَيتُ مِنْ أَنْبَاءِ ؟
مَنْ لِي إِذَا مَا قِيلَ لِي : يَا مُذْنِبًا مَا زِلْتَ فِي الدُّنْيَا قَلِيلَ حَيَاءِ ؟
وَافَيتَنَا بِجَرَائِمٍ أَرْبَتْ عَلَى عَدِّ الحَصَى وَالرَّمْلِ فِي الإِحْصَاءِ [١٠٨]

ويَخْجَلُ **ابنُ جَابر** مِنْ كَثْرَةِ ذُنُوبِهِ، ويُسَيطِرُ عليه النَّدَمُ بسببها ؛ لذا يلجأُ إلى الرسول (ﷺ)، ويلوذُ بجنابه العالي، يقول : (البسيط)

لَكِنَّنِي بِرَسُولِ اللهِ ذُو ثِقَةٍ وَمَنْ يَثِقْ بِعَظِيمِ الجَاهِ يُحْتَرَمِ
وَقَفْتُ فِي بَابِهِ العَالِي عَلَى خَجَلٍ مِنَ الخَطَايَا وُقُوفَ النَّادِمِ الوَجِمِ [١٠٩]

يأتِي المُذْنِبُ يَومَ القِيَامة، ووَجْهُهُ أسود عابس، ناكس الرأس، يرجو أن يُبَاعِدَ اللهُ بينه وبين أعماله، ويدعو على نفسه بالويل، بعد أن يُفْتَضَحَ أَمْرُهُ أَمَامَ النَّاس، وتَشْهَدُ عليه حَوَاسُّه، ويَعَضُّ على أَصَابِعِهِ من شِدَّةِ النَّدم .

رابعًا : النَّدَمُ :

أراد الشاعرُ الأندلسيُّ أن يَتَخَلَّصَ من الندم على إقحام النفس في الذنوب التي تَسْتَوجِبُ الخِزْي في الدنيا، والعَذَاب يوم القيامة ؛ لذا قَرَّرَ تعديلَ

سُلُوكِهِ، ومِنْ صُوَرِ التكيُّف مع البيئة أنْ « يُقْلِعَ الفَرْدُ عن سُلُوكٍ اعتاده وأَلِفَهُ إلى سُلُوكٍ آخر حين يَتَّضِحُ له أَنَّ السُّلُوكَ الأَوَّلَ لا جدوى منه » (١١٠) .

ولا بُدَّ مع الندم من الإقلاع عن الذَّنْب، والعَزْم الصادق على عدم العودة إليه مَرَّةً ثانية، والله (ﷻ) يَقْبَلُ التائبينَ، ويُقِيلُ عَثَرَاتِ المُذْنِبِينَ .

وهذا **ابن عبد رَبِّه الأندلسيّ** يَتَحَسَّرُ على الليالي التي قضاها في معصية الله، يقول (ت٣٢٨هـ) : (السريع)

يَا رَبِّ، غُفْرَانَكَ عَنْ مُذْنِبٍ أَسْرَفَ إلاَّ أَنَّـهُ نَـادِمُ (١١١)

ويعترفُ **أبو إسحاق الإلبيريّ** بِذُنُوبِهِ، ويَتَمَنَّى أنَّ أُمَّهُ لم تَلِدْهُ ؛ حَتَّى يَضْمَنَ عدم ارتكاب هذه المعاصي، ويُعْلِن نَدَمَهُ على ما ضَيَّعَ مِنْ حَيَاتِهِ، ويُؤَكِّدُ تَوبَتَهُ، وحاجته إلى أن يَتَغَمَّدَهُ اللهُ برحمته الواسعة، يقول : (الوافر)

إِلَى مَنْ يَشْتَكِي المَمْلُوكُ إلاَّ إِلَى مَولاهُ يَا مَولَى المَوَالِي
لَعَمْرِي لَيتَ أُمِّي لَمْ تَلِدْنِي وَلَمْ أُغْضِبْكَ فِي ظُلَمِ اللَّيَالِي
فَهَا أَنَا عَبْدُكَ العَاصِي، فَقِيرٌ إِلَى رُحْمَاكَ فَاقْبَلْ لِي سُؤَالِي (١١٢)

لقد أفنى **القاضي أبو الوليد بن الباجي** شَبَابَهُ في اللهو، ولم يُصْغِ إلى صوت الناهي، وأخيرًا تَنَبَّهَ إلى أنه بَلَغَ مِنَ العُمْر سِتِّينَ عامًا، وأوشك أَنْ يَرْحَلَ، وفَاتَهُ إعداد الزاد اللازم للسفر مِنْ تَقْوَى وعَمَلٍ صَالِح، يقول : (الطويل)

إِلَهِيَ قَدْ أَفْنَيتُ عُمْرِي بِطَالَـةً وَلَمْ يَثْنِنِي عَنْهَا وَعِيدٌ وَلا وَعْدُ
وَضَيَّعْتُهُ سِتِّينَ عَامًا أَعُدُّهَا وَمَا خَيرُ عُمْرٍ إِنَّمَا خَيرُهُ العَدُّ

وَقَدْ فَاتَنِي الإِعْدَادُ بِالعَمَلِ الذِي بِهِ كَانَ يُرْجَى القُرْبُ وَالفَوزُ وَالخُلْدُ (١١٣)

ويَأْمُرُ **أبو بكر بن عطية** (ت٥١٨هـ) المَطْرُودَ مِنْ بَابِ الرِّضَا أنْ يقومَ الليل، ويَتْرُكَ لَذِيذَ النوم، ويبكي بدموعٍ غزيرة نَدَمًا على ما ضاع من عُمْرِهِ في الباطل، وأسفًا على ذنوبٍ تَقَدَّمَتْ، وقد استخدم فعل الأمر أربع مرات : (قُمْ – ضَعْ – نُحْ – اقْرَعْ) ؛ ليدل على ضرورة الجمع بين قيام الليل، والسُّجود، والبُكاء، والندم معًا للفَوزِ بِالتَّوبَةِ، يقول : (الرمل)

قُمْ إِذَا اللَّيلُ دَجَّتْ ظُلْمَتُهُ وَاسْتَلَذَّ الجَفْنُ أَنْ يَغْتَمِضَا

فَضَعِ الخَدَّ عَلَى الأَرْضِ وَنُحْ وَاقْرَعِ السِّنَّ عَلَى مَا قَدْ مَضَى (١١٤)

ويُنْفِقُ **أُمَيَّة الدَّانِي** شَبَابَهُ في اللَّهْو، ويَقْطَعُ أَشْوَاطًا طويلة مِنْ عُمْرِه في غَيرِ مَرْضَاةِ اللهِ، يقول : (البسيط)

حَسْبِي فَكَمْ بَعُدَتْ فِي اللَّهْوِ أَشْوَاطِي وَطَالَ فِي الغَيِّ إِسْرَافِي وَإِفْرَاطِي(١١٥)

ولم يُحَصِّلْ **أبو الربيع سليمان المُوَحِّدِيّ** مِنْ ذُنُوبِهِ إلا عَضّ الأنامل مِنْ فَرْطِ النَّدَمِ، يقول : (البسيط)

نَأْتِي مِنَ الذَّنْبِ قَدْرًا لَيسَ نَجْهَلُهُ عَضَّ الأَنَامِلِ فِي عُقْبَاهُ وَالنَّدَمُ (١١٦)

ويَلُومُ **لسان الدين بنُ الخَطِيب** (ت٧٧٦هـ) نفسَه على ما رَكِبَهُ مِنْ بَاطِل، وما اكْتَسَبَهُ مِنْ مَآثِم، يقول : (البسيط)

مَولايَ مَولايَ إِنْ أَرْضَاكَ بَذْلُ دَمِي فَقَدْ أَتَيتُ بِهِ أَسْعَى عَلَى قَدَمِي
وَإِنْ تَعَاظَمَ ذَنْبٌ قَدْ جنَتْهُ يَدِي وَطَالَ قَرْعِي عَلَيهِ السِّنَّ مِنْ نَدَمِ
فَهَبْهُ لِي وَاغْتَفِرْ مَا كَانَ مِنْ خَطَأٍ وَزَلَّةٍ، وَارْعَ لِي حُبِّي عَلَى القِدَمِ (١١٧)

إِنَّ النَّدَمَ عَلَى المَعْصِية يَمْحُو الذَّنْبَ، ويَرْفَعُ عُقوبَتِه، يقول **ابن زَمْرَك** (ت بعد ٧٩٧هـ) : (مُخَلَّع البسيط)

وَلَيتَنِي لَو كُنْتُ فِيمَا مَضَى أَدَّخِرُ الزَّادَ لِطُولِ السَّفَرْ (١١٨)

يَشْعُرُ مَنْ تَجَرَّأَ مِنْ شُعَرَاءِ الأَنْدَلُسِ عَلَى المَعْصِية بالحَسْرَةِ عَلَى ما فَرَّطَ فِي جَنْبِ اللهِ أيام شبابه، ويَنْدَمُ على ذُنُوبِهِ، ويَلُومُ نَفْسَه، ويَحْتَرِقُ قَلْبُهُ أسفًا.

المَبْحَثُ الثَّالِثُ : آثَارُ الوُقُوعِ فِي الذَّنْبِ :

سُوء الخَاتِمَة من أثر الذنوب ؛ فكُلَّمَا « عَمِلَ العَبْدُ مَعْصِيَةً نَزَلَ إِلَى أَسْفَلَ، دَرَجَةً، وَلا يَزَالُ فِي نُزُولٍ ؛ حَتَّى يَكُونَ مِنَ الأَسْفَلِينَ » (١١٩) .

وجاء فِي (مُسْنَدِ الإمام أحمد) عَنْ مُعَاذِ بن جَبَل قَالَ : أَوْصَانِي رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) فَقَالَ : « وَإِيَّاكَ وَالْمَعْصِيَةَ ؛ فَإِنَّ بِالْمَعْصِيَةِ حَلَّ سَخَطُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ » (١٢٠) .

وفي (الحُلْيَة) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ : « يَا صَاحِبَ الذَّنْبِ، لا تَأْمَنَنَّ مِنْ سُوءِ عَاقِبَتِهِ، وَلَمَا يَتْبَعُ الذَّنْبَ أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ إِذَا عَمِلْتَهُ ؛ فَإِنَّ قِلَّةَ حَيَائِكَ مِمَّنْ عَلَى اليَمِينِ وَعَلَى الشِّمَالِ، وَأَنْتَ عَلَى الذَّنْبِ، أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ الذِي عَمِلْتَهُ، وَضَحِكُكَ وَأَنْتَ لا تَدْرِي مَا اللهُ صَانِعٌ بِكَ أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ، وَفَرَحُكَ بِالذَّنْبِ إِذَا ظَفِرْتَ بِهِ أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ، وَحُزْنُكَ عَلَى الذَّنْبِ إِذَا فَاتَكَ أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ إِذَا ظَفِرْتَ بِهِ، وَخَوْفُكَ مِنَ الرِّيحِ إِذَا حَرَّكَتْ سِتْرَ بَابِكَ وَأَنْتَ عَلَى الذَّنْبِ وَلا يَضْطَرِبُ فُؤَادُكَ مِنْ نَظَرِ اللهِ إِلَيْكَ أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ إِذَا عَمِلْتَهُ » (١٢١) .

وهذا **أبو إسحاق الإلبيريّ** يَعْتَرِفُ بكثرة الذُّنُوبِ التي ارتكبها، ويُشَبِّهُهَا بالنُّجُوم التي لا تُعَدُّ ؛ دلالة على عجزه عن إحصائها، ويُعْلِنُ أَسَفَهُ عَلَيهَا، يقول : (السريع)

أَيُّ خَطِيئَاتِيَ أَبْكِي دَمَا وَهِيَ كَثِيرٌ كَنُجُومِ السَّمَا
قَدْ طَمَسَتْ عَقْلِي فَمَا أَهْتَدِي وَأَورَثَتْ عَينَ فُؤَادِي العَمَى
إِنَّا إِلَى اللهِ لَقَدْ حَلَّ بِي خَطْبٌ غَدَا صُبْحِي بِهِ مُظْلِمَا (١٢٢)

ومن أثر الذُّنُوبِ طَمْسُ نُورِ العَقْلِ فلا يَهْتَدِي للحَقِّ، وعَمَى القلوب التي في الصدور، ونُزُول المَصَائِب التي تَجْعَلُ الصُّبْحَ ظلامًا دامسًا، وتَدَعُ الدِّيَارَ قَفْرًا، والمَنْزِلَ العَامِرَ بِصُنُوفِ النِّعَمِ أرضًا مُسْتَوِيَة مَلْسَاء لا خَيرَ فِيهَا، يقول : (الكامل)

إِنَّ المَعَاصِيَ لا تُقِيمُ بِمَنْزِلٍ إِلاَّ لِتَجْعَلَ مِنْهُ قَاعًا صَفْصَفَا (١٢٣)

وتُصِيبُ الذُّنُوبُ المَرْءَ بِأَنْوَاعِ البَلاءِ، وضُرُوبِ الشَّقَاءِ، يقول **حَازِم القَرْطَاجَنِّيّ** (ت٦٨٤هـ) : (الطويل)

يُنَادِي – إِلَهِي – إِنْ ذَنْبِي قَدْ عَدَا عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ الهُمُومِ لِيَبْتَلِي (١٢٤)

ويَنْبَغِي صَون النفس عن المعاصي ؛ لأنَّ فيها هلاكها، يقول **أبو الفضل الجَوهَرِيّ** : (الخفيف)

مَا هَلاكُ النُّفُوسِ إِلاَّ المَعَاصِي فَتَوَقَّ الهَلاكَ لا تَقْرَبَنْهُ (١٢٥)

ومَنْ نَسِيَ ذُنُوبَهُ هَلَكَ، وبُعْد عنه الصاحبُ القريبُ فِي النَّسَبِ، يقول **ابن لِيونَ التُّجِيبيّ** : (الخفيف)

مَنْ تَنَاسَى ذُنُوبَهُ قَتَلَتْهُ وَأَبَانَتْ عَنْهُ الوَلِيَّ الحَمِيمَا (١٢٦)

إِنَّ التَّسَرْبُلَ بِثِيَابِ المَعَاصِي يَجْعَلُ القَلْبَ يَمْرَضُ بِمَرَضِ القسوة، التي مَبْعَثُها تَرَاكُمُ الذُّنُوبِ بُعْضُها فَوقَ بَعْض ؛ فَإِنَّ ما يكون في القلب يَنْعَكِسُ عَلَى الجَوَارِحِ ؛ فَإِذَا مَرِضَ القَلْبُ بِالذُّنُوبِ صَدَأَ مِنَ مخالفة الأوامر الإلهيَّة، واشتدَّتْ وَحْشَتُهُ .

أولاً : نُزُولُ النِّقَمِ :

الذنوبُ سَبَبٌ لِتَعْجِيلِ العُقُوبةِ في الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ : « كُلَّمَا أَحْدَثْتُمْ ذَنْبًا أَحْدَثَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ سُلْطَانِهِ عُقُوبَةً » (١٢٧) ؛ فَإِنَّ مَنْ يَتَهَاوَن فِي أَمْرِ دِينِهِ، ويُصِرُّ على المعصية، لا بُدَّ مِنْ أَنْ ينتقمَ اللهُ (ﷻ) منه ؛ فمَا نَزَلَ بَلاءٌ إِلاَّ بِذَنْب .

وقد اعترف شُعَرَاءُ الأَنْدَلُسِ بأن مَنْ يُخَالِفْ تَقْوى الله، ويرتكبْ الذنوب؛ لا بُدَّ مِنْ أَنْ يَنْزِلَ به العِقَابُ، وقد استشرفوا آفاق المستقبل، وتَنَبَّئُوا بسُقُوط الأندلس ؛ لإصرار مُلُوكِهَا على الذُّنُوب .

وهذا **أبو الحسين يُوسُف بن مُحَمَّد بن الجَدّ** يُشِيرُ إلى مُلُوكِ الطَّوَائِفِ بعد عَزْلِهِمْ سنة ٤٨٤هـ، ويُهَاجِمُ سِيَاسَتهم، يقول : (البسيط)

أَرَى المُلُوكَ أَصَابَتْهُمْ بِأَنْدَلُسٍ دَوَائِرُ السَّوءِ لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ
قَدْ كُنْتُ أَنْظُرُهَا وَالشَّمْسُ طَالِعَةٌ لَو صَحَّ لِلقَومِ فِي أَمْثَالِهَا النَّظَرُ
وَكَيفَ يَشْعُرُ مَنْ فِي كَفِّهِ قَدَحٌ يَحْدُو بِهِ مُذْهِلاتُ النَّايِ وَالوَتَرُ
صُمَّتْ مَسَامِعُهُ عَنْ غَيرِ نَغْمَتِهِ فَمَا تَمُرُّ بِهِ الآيَاتُ وَالسُّوَرُ
تَلْقَاهُ كَالعِجْلِ مَعْبُودًا بِمَجْلِسِهِ لَهُ خُوَارٌ، وَلَكِنْ حَشْوُهُ خَوَرُ
وَحولَهُ كُلُّ مُغْتَرٍّ، وَمَا عَلِمُوا أَنَّ الذِي زَخْرَفَتْ دُنْيَاهُمُ غَرَرُ (١٢٨)

يَتَشَفَّى في مُلُوكِ الطَّوَائِفِ، ويُبْرِزُ أن سبب سقوطهم هو انْغِمَاسُهُم فِي الذُّنُوب، وضَعْف الوَازِع الدِّينيّ لَدَيهم، وإقبالهم على زُخْرِفِ الدُّنْيَا ؛ فكان من الضروري أن يُحِيطَ بهم البلاء ؛ بسُوءِ فِعْلِهم .

أ) سُقُوطُ المُدُنِ الأَنْدَلُسِيَّة :

زادت حسرةُ شُعَرَاءِ الأندلس إزاء ما رَأَوه من سُقُوط المُدُن الأندلسية تِبَاعًا في يد النصارى ؛ بسبب ضَعْف الحُكَّام المسلمين، وغفلتهم عن طاعة الله وعبادته، وتماديهم في المَعْصِيَة .

*** خراب إِلْبِيرَة سنة ٤٠٠ هـ :**

عَصَفَتْ الفِتْنَة بِإِلْبِيرَة (Elvira) سنة ٤٠٠ هـ، وقد رثاها **أبو إسحاق الإلبيريّ** بقوله : (الطويل)

لَسَاءَلْتُ عَنْهُمْ رَسْمَهَا فَأَجَابَنِي: (أَلا كُلَّ شَيءٍ مَا خَلا اللهَ ذَاهِبُ)
يُخَاطِبُنَا : أَنْ قَدْ أُخِذْتُ بِذَنْبِكُمْ وَمَا أَحَدٌ مِنْكُمْ عَنِ الذَّنْبِ تَائِبُ !
وَأَنْ قَدْ قَسَتْ أَكْبَادُكُمْ وَقُلُوبُكُمْ وَمَا مِنْكُمْ دَاعٍ إِلَى اللهِ رَاغِبُ
لَشَكْلُكُمُ أَولَى وَأَجْدَرُ بِالبُكَا عَلَى مِثْلِهِ حَقًّا تَقُومُ النَّوَادِبُ ! (١٢٩)

تَخَيَّلَ الشَّاعِرُ أنه أَقَامَ مُحَاوَرة بينه وبين إلبيرة – بَعْدَ خَرَابِهَا – فقد وقف على رُسُومِهَا نادبًا لها ؛ فأخبرته أَنَّ كُلَّ شَيءٍ إلى زَوَال، ولا يَبْقَى إلا وجهُ اللهِ، وأَكَّدَتْ أنها سقطت بِذُنُوبِ أَهْلِها وحُكَّامِهَا، وهم – في حقيقة الأمر – أولى بالندب، وأجدر بالبكاء، منها .

لقد أَرْجَعَ سُقُوطَ المَدِينة إلى التَّمَادِي فِي المعصية، وتعاظُم السيئات والكبائر، التي استوجبت العُقُوبة ؛ فنَزَلَ البَلاءُ، وسَقَطَتِ المدينةُ، ثُمَّ لَحِقَها الدَّمَارُ والخَرَابُ .

*** سُقُوطُ بَرْبَشْتُر سنة ٤٥٦هـ :**

غزا النُّورمَان مدينة بَرْبَشْتُر (Barbastro) في نحو أربعين ألف راكب ؛ فقاتلوها أربعينَ يومًا، وافتتحوها سنة ٤٥٦هـ (١٣٠)، وكان لسقوطها أثرٌ عميقٌ

في نفوس الأندلسيين، يُنْذِرُ بِسُقُوطِ الأَنْدَلُسِ بِأَكْمَلِها من بعد، والقَضَاء عَلَى الوُجُودِ الإسلاميّ فيها .

وقد أرجع شُعَرَاءُ الأَنْدَلُسِ هذا البلاء إلى ارتكابِ الذُّنُوب، وإهمالِ أَمْرِ الجِهَادِ ؛ فقد انتقد **أَبُو حَفْصٍ عُمَر بن الحَسَن الهَوْزَنِيّ** (ت٤٦٠هـ) سياسة مُلُوك الطوائف ؛ لِتَعَاوُنِهِمْ مع مُلُوكِ النصارى، وإهمالهم نُصرة إخوانهم المُسْلِمِينَ، وتَعَجَّب من انتهاك الأعراض، واستباحة المُنْكَرَات، وحَذَّرَ من استفحال داء الذنوب، يقول : (الطويل)

أَيَا أَسَفًا لِلدِّينِ إِذْ ظَلَّ نُهْبَةً ... بِأَعْيُنِنَا، وَالمُسْلِمُونَ شُهُودُ
أَفِي حَرَمِ الرَّحْمَنِ يُلْحَدُ جَهْرَةً ... وَيُجْعَلُ أَشْرَاكَ الإِلَـهِ يَهُودُ
وَيُثْلَبُ بَيتُ اللهِ بَينَ بُيُوتِكُمْ ... وَقَادِرُهُ عَنْ رَدِّ ذَاكَ قَعِيدُ
وَيُوضَعُ لِلدَّجَّالِ بَيتٌ بِمَكَّةٍ ... وَيَخْفَى عَلَيكُمْ مَنْزَعٌ وَقُصُودُ
أُعِيذُكُمُ أَنْ تُدْهِنُوا فَيَمَسَّكُمْ ... عِقَابٌ، كَمَا ذَاقَ العَذَابَ ثَمُودُ (١٣١)

جَعَلَ سُقُوطَ بَرْبَشْتُر داءً نَزَلَ بالمسلمين ؛ بسبب الذنوب، ودَعَا إلى الأخذ بالثأر، واسترداد الأرض المَسْلُوبة، وحَثَّ على حماية الدين، وحَذَّرَ من الاستهزاء بالذُّنُوبِ ؛ لأنَّ المُذْنِبِينَ يَنْتَظِرهُمْ العَذَاب كَعِقَابِ اللهِ لِثَمُود، وغيرها مِنَ الأُمَم السابقة، التي عَصَت أَمْرَ رَبِّهَا ؛ فعَاجَلَهَا بالعُقُوبة .

إنه يؤكد مَعَانِي الظُّلْم، وفَسَاد الحُكْم، وتعطيل أَحْكَام الدِّين، وتسليم الأمور إلى مَنْ لا يستحقها، واستحكام البلاء، وشُيُوع الغَدْر، وهَتْك الحُرُمَات، ويُنَادِي بِالجِهَاد، ويدعو إلى الثورة، وهو ينتمي إلى صُفُوفِ المُحِبِّينَ للوطن المُدَافِعِينَ عنه، وقد أدَّى ذلك إلى قَتْلِهِ سنة ٤٦٠هـ على يد المُعْتَضِد بن عباد (ت٤٦١هـ) .

وقد أشار **أبو مُحَمَّد عبد الله بن عبد البرّ** (ت٤٧٤هـ) – في رسالة كَتَبَهَا على لسان أهل بَرْبَشْتُر – إلى أثر الذنوب في نُزُولِ هذا البلاء، يقول : « وَلَولا فَرْطُ الذُّنُوبِ ؛ لَمَا كَانَ لِرِيحِهِمْ عَلَينَا مِنْ هُبُوب » (١٣٢) .

وقال الفقيهُ الزاهدُ **ابن العَسَّال** (ت٤٨٧هـ) همزيَّة بعد سُقُوط مدينة بَرْبَشْتُر، وانتقد حال المسلمين ومُلُوكِهِمْ بَعْدَ هذه النكبة، منها : (الكامل)

لَولا ذُنُوبُ المُسْلِمِينَ، وَأَنَّهُمْ ... رَكِبُوا الكَبَائِرَ مَا لَهُنَّ خَفَاءُ
مَا كَانَ يُنْصَرُ لِلنَّصَارَى فَارِسٌ ... أَبَدًا عَلَيهِمْ ؛ فَالذُّنُوبُ الدَّاءُ (١٣٣)

يُؤَكِّدُ أَنَّ نَكْبَةَ بَرْبَشْتُر نتيجة ما اقترفه المسلمونَ مِنْ ذُنُوب، وقد بدأ أبياته بـ (لولا) الشرطيَّة، التي تُفِيدُ امتناع وُقُوع الجَوَاب لامتناع وُقُوع الشَّرْط ؛ فهو يرى أن ارتكاب المُسْلِمِينَ كَبَائِر الذُّنُوبِ، والمُجَاهَرة بها، والإِصْرَار عليها، والانغماس في الرذائل والمُوبِقَات، والتَّرَف الشَّدِيد الذي انغمس فيه مُلُوك الأندلس، والتقاعُس عن الاهتمام بأُمُورِ الشَّعْب، أدَّى – في نهاية الأمر – إلى سُقُوط المُدُن والممالك ؛ فقد آلت تلك المُقَدِّمات إلى هذه النتائج .

فالذنوب هي الدَّاءُ العُضَال الذي فَتَك بالأُمَّة الإسلاميَّة في الأندلس، وذَهَبَ بِقُوَّتِهَا ؛ فانهزمت بَعْدَ التَّنَازُع .

*** سُقُوط طُلَيطُلَة سنة ٤٧٨هـ :**

أحدث سُقُوطِ مدينة طُلَيطُلَة (Toledo)، ذات القَصَبَة المَنِيعَة والأسوار الشامخة، حُزْنًا كبيرًا في نُفُوسِ شُعَرَاءِ الأندلس، بوصفها مِنْ أَهَمِّ الحُصُونِ الأَنْدَلُسِيَّة، وجعلوا ذلك السُّقُوطَ نَذِيرَ شُؤْم، يقول **أحد شعراء الأندلس** : (الوافر)

طُلَيطُلَةٌ أَبَاحَ الكُفْرُ مِنْهَا ... حِمَاهَا، إِنَّ ذَا نَبَأٌ كَبِيرُ
فَلَيسَ مِثَالُهَا إِيوَانُ كِسْرَى ... وَلا مِنْهَا الخَوَرنَقُ وَالسَّدِيرُ
مُحَصَّنَةٌ مُحَسَّنَةٌ بَعِيدٌ ... تَنَاوُلُهَا، وَمَطْلَبُهَا عَسِيرُ (١٣٤)

وَقَفَ الشَّاعِرُ على أسباب تلك المِحْنَة، المُتَمَثِّلَة في : (الإسراف في المعاصي، والجُرْأَة على الفُجُور)، وأَرْجَعَ هذا السقوط إلى ذُنُوبِ المُسْلِمِينَ (أَبَاحَ الكُفْرُ مِنْهَا حِمَاهَا)، والإصرار على اللهو، والإعراض عن ذكر الله وطاعته ؛ فنَزَلَ بها العِقَاب ؛ بسبب عصيان أهلها، وفَسَاد مُلُوكِهَا، وهذا دليلٌ على نَقْصِ عُقُولِهم، وضَعْف إيمانهم .

لقد طُمِسَتْ المعالم الدينيَّة التي أضاءت بِنُورِ الإيمَان، وأصبحت المدينة دارًا خالصةً لِلكُفْرِ ؛ حَتَّى إِنَّ هُنَاكَ مَنْ تَرَك دِيْنَهُ، واعتنق النصرانيَّة، يقول : (الوافر)

فَإِنْ قُلْنَا : العُقُوبَةُ أَدْرَكَتْهُمْ وَجَاءَهُمُ مِنَ اللهِ النَّكِيرُ
فَإِنَّا مِثْلَهُمْ، وَأَشَدُّ مِنْهُمْ نَجُورُ، وَكَيفَ يَسْلَمُ مَنْ يَجُورُ
أَنَأْمَنُ أَنْ يَحِلَّ بِنَا انْتِقَامٌ وَفِينَا الفِسْقُ أَجْمَعُ وَالفُجُورُ
وَأَكْلٌ لِلحَرَامِ وَلا اضْطِرَارٌ إِلَيهِ فَيَسْهُلَ الأَمْرُ العَسِيرُ
وَلَكِنْ جُرْأَةٌ فِي عُقْرِ دَارٍ كَذَلِكَ يَفْعَلُ الكَلْبُ العَقُورُ
يَزُولُ السِّتْرُ عَنْ قَومٍ إِذَا مَا عَلَى العِصْيَانِ أُرْخِيَتِ السُّتُورُ (١٣٥)

لا شَكَّ في أَنَّ مِنْ أَسْبَابِ سُقُوطِ طُلَيطُلَة العقوبة الرادعة التي أدركت سُكَّان المدينة وحُكَّامِهَا ؛ بَعْدَ أَنْ تَعَدَّدت الذُّنُوب، ومنها : (الجَور – الفِسْق أَجْمع – الفُجُور – أَكْل الحَرَام بلا اضطرار – جُرْأة على العِصْيان – سكوت على انتشار الفَسَاد) ؛ ولا بُدَّ مِنْ أَنْ يَزُولَ السِّتْرُ، ويَحِلُّ الانتقامُ بأصحاب المعاصي .

ب) الخُرُوجُ مِنَ الأَنْدَلُسِ :

شَبَّهَ شُعَرَاءُ الأَنْدَلُسِ بَلَدَهُمْ الحبيب الذي وُلِدُوا فيه، ثُمَّ أجبرتهم الأحوالُ على مغادرته بِجَنَّةِ الخُلْدِ، التي يَفُوزُ بها المُتَّقُونَ (١٣٦) .

وهذا **ابن حَمْدِيس الصَّقَلِّيّ** عندما أُرْغِمَ على الخروج من سَرَقُوسَة (Syracuse) سنة ٤٧١هـ، شَبَّهَ نَفْسَهُ بِآدم الذِي أُخْرِجَ مِنَ الجَنَّة، وجعل وطنَهُ صِقِلِّيَّة (Sicily) جَنَّةً، يقول : (المتقارب)

فَإِنْ كُنْتُ أُخْرِجْتُ مِنْ جَنَّةٍ فَإِنِّي أُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (١٣٧)

ومن أجل التَّخَلُّص من هذا الشُّعُور البغيض بالذَّنْبِ ؛ لأنه تَرَكَ وَطَنَهُ في أثناء حُرُوبِهِ مع النورمانيين، هَجَا أَعْدَاءَ بِلادِهِ، ونعتهم بالكلاب والخنازير، وتَتَبَّع أخبارَ صِقِلِّيَّة وأهلها بِشَغَفٍ، وعاش في جِوَارِ مَنْ يدافعون عن الإسلام، ويجاهدون في سبيل إعلاء رايته، كالمُعْتَمِد بن عَبَّاد (ت٤٨٨هـ) أمير إِشْبِيلِيَة

(Sevilla)، والمنصور بن الناصر بن عَلَّنَاس (ت٤٩٨هـ) أمير بِجَايَة (Bougie)، وبني باديس (يحيى وعليّ والحسن) في المَهْدِيَّة .

لقد عَزَّتْ عليه الأُلْفَة التي افتقدها ؛ حَتَّى أصبح يَنْدُبُ وَحْشَتَهُ، ويبكي وَطَنَهُ وعُمْرَهُ الذي ضَاعَ في الغُرْبَة .

وشَبَّهَ **أبو المُطَرِّف بن عَمِيرَة المخزوميّ** (ت٦٥٨هـ) نَفْسَهُ – في العصيان – بآدم – عليه السلام – عندما خَالَفَ أَمْرَ اللهِ، وأَكَلَ مِنَ الشجرة ؛ فَعُوقِبَ بِالخُرُوجِ مِنَ الجَنَّة، وجَعَلَ نَفْسَه مُذْنِبًا ارْتَكَبَ جُرْمًا ؛ فَعُوقِبَ بِالخُرُوجِ من بَلَنْسِيَة (Valencia)، يقول في رثاء بَلَنْسِيَة عندما سَقَطَتْ لِلمَرَّة الثانية سنة ٦٣٥هـ : (الطويل)

وَهَلْ أَذْنَبَ الأَبْنَاءُ ذَنْبَ أَبِيهِمُ فَصَارُوا إِلَى الإِخْرَاجِ مِنْ جَنَّةِ الخُلْدِ (١٣٨)

وكَرَّرَ **أبو موسى هارون بن هارون** المَعْنَى نَفْسَهُ في قوله مُخَاطِبًا إشبيلية : (البسيط)

يَا جَنَّةً زَحْزَحَتْنَا عَنْ زَخَارِفِهَا ذُنُوبُنَا ؛ فَلَزِمْنَا البَثَّ وَالنَّدَمَا (١٣٩)

خَرَجَ الشاعرُ الأَنْدَلُسِيّ مِنْ بلاده قسرًا، وهو العاشقُ لها ؛ فكان خُرُوجُهُ منها أَشْبَهَ بِخُرُوجِ آدم مِنَ الجَنَّة، أو خُرُوج الرُّوح مِنَ الجَسَد، والسببُ في ذلك عِصْيَانُ أوامر الله، واقترافُ الذُّنُوبِ ؛ فنَزَلَتْ به العُقُوبةُ، ولازَمَهُ النَّدَمُ.

ج) الكَوَارِثُ الطَّبِيعِيَّةُ :

تُحْدِثُ الذُّنُوبُ ألوانًا مِنَ الفَسَادِ فِي الأرض ؛ فتَكْثُرُ السُّيُول، والزَّلازل، والأَعَاصِير، والأَوبِئَة، والمَجَاعَات .

لقد شَهِدَتْ إشبيلية عام ٤٤٨هـ مَجَاعة اجتاحت النّاس ؛ حَتَّى عُرِفَ ذلك العام بعام (الجُوع الكَبِير)، ودَفَنَ الناسُ الثلاثة والأربعة في قَبْرٍ واحد، ورُبِطَتْ أبواب المساجد ؛ لأَنَّهُ لا يوجد مَنْ يَؤُمُّ الناسَ بها، ولا مَنْ يُصَلِّي فيها(١٤٠) .

وإن انْتَشَرَتِ الذُّنُوبُ، وعَمَّتِ الفَاحِشَة، وسَادَ الظُّلْمُ في أيّ مدينة ؛ فذلك نَذِيرُ الهَلاك والخَرَاب ونُزُول البلاء الذي يَعُمُّ سُكَّان المَدِينة، ويَطُولُ زَمَنُهُ، ويَكُونُ له آثارٌ مُدَمِّرَة .

*** السُّيُولُ التِي تَبْتَلِعُ الأَرْضَ :**

وقَعَ سَيلٌ شَنِيعٌ بوادي إشبيلية، في سنة ٥٩٧هـ، هَلَكَ فِيهِ أُمَمٌ لا يُحْصِيهَا إلا الله، وقد تَقَدَّمَتْ هذا السَّيلَ سُيُولٌ كثيرة ؛ حَتَّى قال **الشاعرُ** : (السريع)

للهِ حِمْصٌ أَيَّمَا بَلْدَةٌ لَو أَنَّنَا نَأْمَنُ ثُعْبَانَهَا

طَافَ بِهَا وَالرِّيحُ رُوحٌ لَهُ فَابْتَلَعَ الأَرْضَ وَسُكَّانَهَا (١٤١)

وقد ذَهَبَ من دُور إشبيلية « بهذا السَّيل سِتَّة آلاف دار، وذَكَرَ التجَّارُ الوَاصِلُونَ من غَرْب الأندلس أنهم عَثَرُوا بِالرِّمَالِ الكِبَارِ على سَبْعِمِائَة شَخْصٍ من الغَرْقَى » (١٤٢) .

وفي هذين البيتين يَتَعَجَّبُ الشَّاعِرُ مِنْ حِمْص، التي شَوَّهَت السيولُ الكثيرة التي تَبتلعُ الأرضُ والسُّكَّان جَمَالها، ونَغَّصَت العَيشَ بها، وما ذاك إلا بسبب ذُنُوبِ أَهْلِها وحُكَّامِهَا .

*** حَبْسُ المَطَرِ :**

القَحْطُ وحَبْسُ المَطَرِ مِنْ أَثَرِ الذُّنُوبِ، وقد وَرَدَ عن عِكْرِمَة بن عَمَّار(ت١٥٩هـ) أنه قال : « دَوَابُّ الأَرْضِ وَهَوَامُّهَا ؛ حَتَّى الخَنَافِسُ وَالعَقَارِبُ، يَقُولُونَ : مُنِعْنَا القَطْرَ بِذُنُوبِ بَنِي آدَمَ » (١٤٣) .

وقَدْ حَلَّت مَجَاعَة بالأندلس في عام ٣١٧ هـ نتيجة احتباس المطر ؛ فَغَلَتِ الأَسْعَارُ، وخَرَجَت كُتُب الخَلِيفة عبد الرحمن الناصر (ت٣٥٠هـ) بإقامة صلاة الاستسقاء في جامع قُرْطُبَة (Cordoba)، ومُصَلَّى الرَّبَض، ومُصَلَّى المُصَارَة (١٤٤) .

وفي عصر ملوك الطوائف خرج الناس للاستسقاء، ورجعوا وقد انتشر الجَرَادُ فِي كُلِّ مَكَان ؛ حَتَّى كَادَ يَحُولَ بَيْنَهُمْ وَبين الشمس، يقول **ابن رَشِيق القَيرَوَانِيّ** (ت٤٥٦هـ) : (الخفيف)

بَينَمَا نَرْتَجِي سَحَابَةَ مُزْنٍ غَشِيَتْنَا سَحَابَةٌ مِنْ جَرَادِ
لَيسَ مِنْ قِلَّةٍ وَلا بُخْلِ رَبٍّ إِنَّمَا ذَاكَ مِنْ ذُنُوبِ العِبَادِ (١٤٥)

يعترف بأنَّ ذُنُوبَ العِبَادِ سَبَبٌ فِي عُمُومِ البَلاء، ومَنْع المَطَر، وما يَتَرَتَّب عَلَيهِ من القَحْط، والجَفَاف، والجُوع، والبَوَار، لقد قاموا بأداء صلاة الاستسقاء، وانتظروا فَرَجًا قَرِيبًا مِنْ سَحَائِب رَحْمة تَغْمُرُهُمْ بِالمَطَر، ولَكن ظَلَّلَتْهُمْ سَحَابَةٌ مِنْ جَرَاد ؛ فَمِنْ ذُنُوبِهِمْ سُلِّطَتْ عَلَيهِمْ الحَشَرَاتُ الضَّارّة، التي تَأْكُلُ النَّبَات .

ويَدْعُو **عبد الكريم القيسي** اللهَ أَنْ يُنْزِلَ المَطَر الغزير في رُبُوعِهِمْ، يقول : (البسيط)

ارْحَمْ ضَرَاعَتَنَا، وَاقْبَلْ شَفَاعَتَنَا وَامْنُنْ عَلَينَا بِمَا نَرْجُو مِنَ المَطَرِ
وَخُصَّ مِنْ صَوبِهِ التَّهْتَانِ أَربُعَنَا بِوَاكِفٍ وَابِلٍ سَحٍّ وَمُنْهَمِرِ
تُحْيِي الزُّرُوعَ التِي بِالقَحْطِ قَدْ يَبِسَتْ وَمَا بِهِ جَفَّ مِنْ بَقْلٍ وَمِنْ خَضِرِ (١٤٦)

عندما حُبِسَ المَطَرُ عن مدينة بَسْطَة (Baza) تَوَجَّه الشَّاعِرُ إلى الله (ﷻ) بالدعاء، وتَوَسَّل بِالقُرْآن الكريم، والمُصْطَفَى المُخْتَار، أنْ يَرْفَعَ عَنْهم البلاء، ويَرْحَم تَضَرُّعهم ؛ كي تحيا الزروع اليابسة، وتَرْتَوِي الثمار الجافة .

*** سُقُوطُ البَرَدِ مِنَ السَّمَاءِ :**

مِنْ أَثَرِ الذُّنُوبِ سُقُوطُ البَرَدِ مِنَ السَّمَاءِ، وهو كُتَل كَرَوِيَّة من الجليد، ثقيلة الوزن، تَنْزِلُ فِي أَثْنَاءِ العَوَاصِف الرَّعْدِيَّة ؛ بسبب تَجَمُّد قطرات المطر، ويَسْتَمِرُّ هُطُولُهَا – عادةً –بِضْعَ دقائق، وهي تُخِيفُ النَّاسَ وَالدَّوَابَ، وتُؤْذِي المَحَاصِيل الزِّرَاعِيَّة .

وفي عَصْرِ مُلُوك الطَّوَائِف فُوجِئَ النَّاسُ بِنُزُولِ البَرَدِ مِنَ السَّمَاءِ، يقول **ابن رشيق** : (الوافر)

أَذَا بَرَدٌ تَحَدَّرَ مِنْ غَمَامٍ عَلَينَا أَمْ تَنَاثَرَتِ النُّجُومُ ؟
إِذَا أَتَتِ السَّمَاءُ بِمِثْلِ هَذَا فَمَا بَالُ القِيَامَةِ لا تَقُومُ ؟
وَإِلاَّ فَهْيَ شُهْبٌ ثَاقِبَاتٌ وَكُلُّ النَّاسِ شَيطَانٌ رَجِيمُ (١٤٧)

نَزَلَ البَرَدُ من السماء، وتَسَاقَطَ فَوقَ رُؤُوسِ النَّاسِ كَالحِجَارة ؛ فانتشر الفَزَعُ في النُّفُوس، وأيقنوا بِقُرْبِ قِيَامِ السَّاعَة ؛ فَهَذَا البَرَدُ شُهُبٌ ثَاقِبَة، وكُلُّ النَّاسِ شَيطَانٌ رَجِيمُ، يُصِرُّ على المعصية ؛ فَيُطْرَد مِنْ رَحْمَةِ الله .

ثَانِيًا : مَنْعُ زِيَارَةِ الأَمَاكِنِ المُبَارَكَة :

لا شك في أنَّ المؤمنينَ جميعًا في شَوقٍ إلى أداء فَرِيضَةِ الحَجِّ، وزيارة ضَرِيح النبيّ الكريم (ﷺ)، ويَزْدَادُ الحَنِينُ عند شعراء الأندلس الذين لم يستطيعوا زيارة تلك المعاهد الطاهرة، وما الذي يَمْنَعُ الشَّاعِرُ المُشْتَاقُ من الزيارة ؟ إنها الذنوبُ التي قَيَّدَتْهُ، وحَبَسَتْهُ عن الزيارة، وجَعَلَتْهُ أسيرًا حزينًا، لا يُبْصِرُ سِوَى الظَّلامِ، يشتهي الذَّهَاب، ولا يستطيع تحقيق هذه الأُمْنِيَة الغالية ؛ فلا يجدُ أمامَهُ إلا البُكَاء .

وهذا **أَبُو عَليّ عُمَر بن الشَّيْخ المُكَرَّم أبي مُوسَى** يُؤَكِّدُ أن الذنوب الثقيلة، التي ناء بها ظَهْرُهُ، مَنَعَتْهُ من زيارة المدينة المُنَوَّرة، وجَعَلَتْهُ مُقِيمًا فِي بَلَدِهِ، لا يَسْتَطِيعُ مُغَادَرَتِها، يقول في قصيدة بعث بهَا إِلَى قبر النَّبِي (ﷺ) : (المنسرح)

يَا خَيرَ مَنْ تُعْمَلُ المَطِيُّ لَهُ عُذْرِيَ فِي اللَّبْثِ غَيرُ مُتَّهَمِ
عَبْدُكَ لَو يَسْتَطِيعُ جَابَ إِلَيـ ـكَ القَفْرَ فِي غَيهَبٍ مِنَ الظُّلَمِ
يَمْسَحُ مَا بَينَ حِمْصَ مِنْهُ إِلَى يَثْرِبَ مَرًّا بِوَجْنَةٍ وَفَمِ
وَلِي ذُنُوبٌ وَقَصْنَنِي ثِقَلاً لَولا أَذَى ثِقْلِهِنَّ لَمْ أَقُمِ (١٤٨)

ولم يُشْغَلْ **عَبْدُ الحَقِّ بن عَطِيَّة** (ت٥٤٢هـ) عن زيارة الرسول (ﷺ) بالتَّعَلُّقِ بِمَعَاهِدِ الأُنْس، وأماكن الأصحاب، ولكنَّ الذُّنُوبَ قَيَّدَتْهُ بسلاسل حديدية ثقيلة حالت بينه وبين الذَّهَاب، يقول : (الطويل)

وَمَا قَصَّرَتْ بِي عَنْ زِيَارَةِ قَبْرِهِ مَعَاهِدُ أُنْسٍ مِنْ وِصَالِ الكَوَاعِبِ

وَلا حُبُّ أَوطَانٍ نَبَتْ بِي رُبُوعُهَا وَلا ذِكْرُ خِلٍّ حَلَّ فِيهَا وَصَاحِبِ
وَلَكِنْ ذُنُوبٌ أَثْقَلَتْنِي فَهَا أَنَا مِنَ الوَجْدِ قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ مَذَاهِبِي (١٤٩)

وقد مَثَّلَت الذُّنُوبُ عائقًا مَنَعَ **ابنُ الصَّبَّاغ** من زيارة قبر الرسول (ﷺ)، والأماكن المُبَارَكَة في الحِجَاز : (نَجْد – العَلَمَين – الحِمَى – سَاحَات العقيق – الخَيف – المُصَلَّى – ذي سَلَم – يَثْرِب) ؛ فقد جَعَلَتْهُ ضعيفًا عاجزًا عن المَسِير، وتَحَمُّل مَشَاقّ هذا السَّفَر البعيد، يقول : (الطويل)

وَلَمَّا حَدَا حَادِي الرِّفَاقِ بِيَثْرِبٍ وَحَثُّوا مَسِيرَ اليَعْمُلاتِ الرَّوَاسِمِ
وَخَلَّفَنِي ضَعْفِي أَفْضَتْ مَدَامِعِي وَقَبَّلْتُ بِالأَوهَامِ تُرْبَ المَنَاسِمِ (١٥٠)

ويشكو التَّخَلُّفَ عن زيارة الرسول (ﷺ)، ولَكِنَّ الآثامَ أَقْعَدَتْهُ وتَرَكَتْهُ لِلوَجْدِ فماذا يفعل ؟، يقول : (من الطويل)

أيَا خَيرَ خَلْقِ اللهِ، أَدْعُوكَ رَاجِيًا وَمَا كَانَ مَنْ يَرْجُوكَ يَرْجِعُ خَائِبَا
لَئِنْ أَبْعَدَتْنِي عَنْ مَزَارِكَ زَلَّتِي وَجُرْمِي ؛ فَقَدْ يَمَّمْتُ قَصْدَكَ تَائِبَا (١٥١)

ويؤكد أن سبب الذنوب التسويف، ويقصد تسويف الحَجّ ؛ لأنَّ تأخيرَ الأَعْمَالِ الصالحة يَجْعَلُ المَرْءَ يَخْسَرُ خَيرًا وَفِيرًا، يقول : (الكامل)

يَا دَارَ طَيبَةَ، وَالبِعَادُ مُخِيفُ، صَبْرِي عَلَى بُعْدِ الدِّيَارِ ضَعِيفُ
أَمْضَوا عَزَائِمَهُمْ، وَأَخَّرَ دَمْعَتِي عَنْ دَرْكِ مَا قَدْ أَدْرَكُوا التَّسْوِيفُ (١٥٢)

ومِمَّا أنشده **أبو القَاسِم العَزَفِيّ** (ت٧٦٨هـ) ليلة ميلاد رسول الله : (المتقارب)

نَدِمْتُ عَلَى السَّيرِ إِذْ فَاتَنِي وَلازَمْتُ حُزْنِيَ دَهْرًا طَوِيلا
وَفَازَ المُخِفُّونَ إِذْ يَمَّمُوا مَنَازِلَ آثَارُهَا لَنْ تَزُولا
وَحَجُّوا وَزَارُوا نَبِيَّ الهُدَى مُحَمَّدًا الهَاشِمِيَّ الرَّسُولا
وَلَكِنَّنِي أَثْقَلَتْنِي الذُّنُوبُ وَمَا كُنْتُ لِلثِّقْلِ مِنْهَا حَمُولا (١٥٣)

لقد فَازَ المُحْسِنُونَ، وزَارُوا الكَعْبَة، وقاموا بأداء مَنَاسِك الحج، وقَصَدُوا مَنَازِلَ المُخْتَارِ وصَحْبِهِ ؛ فنالوا الخير، والبركة، والسعادة، وحَبَسَتْهُ أَغْلالُ الذُّنُوبِ بعيدًا منهم .

وقد مَنَعَ الذَّنبُ **ابن الخطيب** من الزيارة، وجَعَلَهُ مُقِيمًا في أقصى الغَرْبِ، يَتَمَنَّى القُرْب، ويَطُولُ اشْتِيَاقُهُ، ويَتَشَبَّثُ بالأَمَلِ، ولولاه لَمَاتَ كَمَدًا ؛ حُزْنًا عَلَى عَظِيمِ خَسَارَتِهِ، يقول : (الطويل)

فَقُولا – رَسُولَ اللهِ – يَا خَيرَ خَلْقِهِ وَأَكْرَمَ مُخْتَارٍ أَبَانَ بِهِ الرُّشْدَا
غَرِيبٌ بِأَقْصَى الغَرْبِ طَالَ اشْتِيَاقُهُ فَلَولا تَعِلاَّتُ المُنَى لَقَضَى وَجْدَا
يُؤَمِّلُ نَيلَ القُرْبِ، وَالذَّنْبُ مُبْعِدٌ وَقَدْ سَدَّ مِنْ طُرْقِ التَّخَلُّصِ مَا سَدَّا(١٥٤)

ويُعْلِنُ **ابن جابر** أَنَّ ذُنُوبَهُ العظيمة قَيَّدَتْهُ عَنِ السَّيرِ ليلاً مَعَ الرَّكْبِ المُسَافِرِ ؛ فبات مُؤَرَّقًا حَزِينًا، يُفَكِّرُ كَيفَ يَتَخَلَّصُ مِنْ قَيدِ الذُّنُوبِ ؟ فلم يَجِدْ إلا جَاهَ المُصْطَفَى يَتَشَفَّعُ به – عند رَبِّهِ – لِتَيسِيرِ الزِّيَارَة، يقول : (البسيط)

إِنِّي أَرَى عِظْمَ آثَامِي تُقَيِّدُنِي عَنِ السُّرَى فَأَبِيتُ اللَّيلَ ذَا أَرَقِ
وَأَنْتَ إِنْ لَمْ تُلاحِظْنِي لِتُطْلِقَنِي فَلَسْتُ مِنْ قَيدِ آثَامِي بِمُنْطَلِقِ
نَرْجُو بِجَاهِكَ هَذَا العَامَ عَاطِفَةً تُدْنِي إِلَيكَ فَهَبْ لِي حُسْنَ مُرْتَفَقِ(١٥٥)

وتَخَلَّفَ **ابن فُرْكُون** (تُوُفِّيَ في القرن التاسع الهجري) عَنِ الحَجِّ والفوز بالزيارة بسبب ذُنُوبِهِ ؛ فقد رَبَطَتْهُ الأَوزَارُ ؛ فما استطاع المَسِيرَ، ولولاها لَرَكَضَ إلى مَكَّة والمدينة المُنَوَّرة كالخيل النَّجِيبِ، وشَارَكَهُمْ في هذا الفَوزِ المُبِين، يقول : (الطويل)

تُقَيِّدُهُ أَوزَارُهُ وَلَوِ اهْتَدَى لَسَارَ كَمَا يَسْرِي الجَوَادُ المُطَهَّمُ
وَتَمْنَعُهُ أَعْمَالُهُ وَلَوِ اتَّقَى مَضَى مِثْلَمَا يَمْضِي الحُسَامُ المُصَمِّمُ(١٥٦)

لم يَكُنْ شعراء الأندلس مِمَّنْ حَثُّوا المَطَايَا ؛ لِنَيلِ رِضْوَان الله ؛ فقد أَقْصَتْهُم الذنوبُ عن أداء فَرِيضَةِ الحَجِّ، وزِيَارة ضَرِيحِ الرَّسُولِ (ﷺ)، والأماكن المُبَارَكَة في الحِجَاز .

المَبْحَثُ الرَّابِعُ

وَسَائِلُ تَخْفِيفِ مُسْتَوَى الشُّعُورِ بِالذَّنْبِ

بَعْد أَنْ أَسْرَفَ الشاعرُ الأندلسيُ على نفسه في ارتكاب الذُّنُوبِ بَدَأَ شُعُورُهُ بِالذَّنْبِ، القَابِعُ في اللاشعور، يَزْدَادُ بِصِفَةٍ مُسْتَمِرَّة ؛ لأنه قَصَّر في طاعة أوامر الله (ﷻ) ؛ فلم يجد مناصًا من إيجاد سُبُل تَكْفُلُ له التكفير عن الذنب، والتخلُّص من عَذَابِ النَّفْسِ اللَّوَّامة ؛ لتخفيف مستوى الشُّعُور بِالذَّنْبِ ؛ مِمَّا يُؤَدِّي إلى تَهْدِئَةِ القَلَق، والشُّعُور بِالأَمْن النفسيّ، وتحقيق قدر أكبر من تَقَبُّلِ الذَّات، وإعادة الثقة بالنفس .

وتُكَفِّرُ الطَّاعَاتُ الذُّنوبَ ؛ فهي « بِمَنْزِلَةِ الْقُوَّةِ الَّتِي تَرُدُّ الْمَرَضَ وَتُقَاوِمُهُ ؛ فَإِذَا سَقَطَتِ القُوَّةُ غَلَبَ وَارِدُ المَرَضِ فَكَانَ الهَلاكُ » [١٥٧]، إِنَّ شِفَاءَ دَاءِ الذُّنُوبِ يَكُونُ بِالتَّوبَةِ النَّصُوح، والتقوى، والتوسُّل بالرسول (ﷺ)، وغيرها من الأعمال الصالحة .

أولاً : التَّوبَةُ النَّصُوحُ :

تَمْحُو التَّوبَةُ كُلَّ ذَنْبٍ، وهي رُجُوعٌ إلى الله، وإقلاعٌ عن الذنب بالقلب والجوارح، وَمَنْ كَثُرَ ذَنْبُهُ ولم يَتُبْ عَنْهُ ؛ فهو عِنْدَ اللهِ مِنَ الخَاسِرِينَ .

والتوبة – عند أَصْحَابِ الطُّرُق الصوفيَّة – أول المقامات، والسالكُ لا يفارقها أبدًا ؛ فَإِن ارْتَحَلَ إلى مَقَامٍ ثانٍ ارْتَحَلَتْ معه، يقول القُشَيرِيّ (ت٤٦٥هـ) : « التَّوبَةُ أَوَّل مَنْزِل من منازل السالكينَ، وأوَّل مَقَام من مَقَامات الطالبين » [١٥٨]، وهي فَرْضٌ على العَبْدِ في كل نَفَسٍ .

ورَوَى ابن مَاجَة (ت٢٧٣هـ) في سُنَنِهِ وحَسَّنَهُ الألبانيّ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) : « التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ، كَمَنْ لا ذَنْبَ لَهُ » [١٥٩] .

وهذا **ابن عَبْد رَبِّهِ** يدعو إلى التَّوبَة، وانتظار وَعْد الله (ﷻ) بالمغفرة ؛ للتَّخَلُّص مِنْ أَسْرِ الذُّنُوبِ، يقول : (البسيط)

بَادِرْ إِلَى التَّوبَةِ الخَلْصَاءِ مُجْتَهِدًا وَالمَوتُ وَيحَكَ لَمْ يَمْدُدْ إِلَيكَ يَدَا
وَارْقُبْ مِنَ اللهِ وَعْدًا لَيسَ يُخْلِفُهُ لا بُدَّ للهِ مِنْ إِنْجَازِ مَا وَعَدَا (١٦٠)

ويعتمدُ **أبو إسحاق الإلبيري**ّ على التشبيه التمثيليّ، ويَجْعَلُ الذُّنُوبَ الكثيرة تُمْحَى بالتوبة، كما تُمْحَى غَفْلَةُ مَنْ سَهَا في الصلاة بِسُجُودِ السَّهْوِ، يقول : (الكامل)

إِنَّ الذُّنُوبَ بِتَوبَةٍ تُمْحَى كَمَا يَمْحُو سُجُودُ السَّهْوِ غَفْلَةَ مَنْ سَهَا (١٦١)

ويَحُثُّ أصحابَ العقولِ على التوبة من الذُّنُوبِ، وعندئذٍ يَعُودُ المَرْءُ بلا ذنبٍ، ويُطْلَقُ سَرَاحَهُ مِنْ أَسْرِ قُيُودِ الخَطَايَا ؛ ويَفُوزُ بِالنَّجَاةِ من النار، يقول : (الوافر)

إِذَا مَا كُنْتُ مَكْبُولَ الخَطَايَا وَعَانِيَهَا فَمَنْ لِي بِالبَرَاحِ ؟
فَهَلْ مِنْ تَوبَةٍ مِنْهَا نَصُوحٍ تُطَيِّرُنِي وَتَأْخُذُ لِي سَرَاحِي (١٦٢)

وعلى العاقل المُسَارَعَةُ إلى التَّوبة، وعدم التسويف، واغتنام الوقت، قَبْلَ مَجِيء الأَجَلِ المَحْتُوم، يقول **القاضي أبو الوليد بن الباجي** : (الطويل)

فَيَا نَفْسُ إِنْ فَاتَتْكِ بِالأَمْسِ تَوبَةٌ فَبَادِرْ، وَلا يَغْرُرْكِ سَوفٌ وَلا بَعْدُ
وَرَاجِعْ فَإِنَّ اللهَ أَكْرَمُ رَاحِمٍ يَقُومُ بِعُذْرِ العَبْدِ إِنْ رَاجَعَ العَبْدُ
وَبَادِرْ فَإِنَّ المَوتَ قَدْ جَدَّ رَاحِلاً فَقَائِدُهُ يَدْعُو، وَسَائِقُهُ يَحْدُو
فَلَمْ تَبْقَ إِلاَّ سَاعَةٌ إِنْ أَضَعْتَهَا فَمَا لَكَ فِي التَّوفِيقِ نَقْدٌ وَلا وَعْدُ (١٦٣)

ويرى **ابن الصَّبَّاغ** أنَّ الذنوبَ تُمْحَى بالتوبةِ، والبُكاءِ، والاستغفارِ وَقْتَ السَّحَر، يقول : (الكامل)

بَادِرْ إِلَى مَحْوِ الذُّنُوبِ بِتَوبَةٍ فَعَسَى رِضَا مَولاكَ مِنْكَ قَرِيبُ
وَاضْرَعْ إِلَيهِ فِي الدُّجُنَّةِ خَاضِعًا وَسَحَابُ دَمْعِ المُقْلَتَينِ يَصُوبُ (١٦٤)

ويدعو **مرج الكُحْل** (ت٦٣٤هـ) إلى الاستغفار على ما مَضَى مِنَ الذُّنُوبِ، وتجديد التَّوبَة دائمًا، يقول : (السريع)

وَاسْتَغْفِرِ اللهَ عَلَى مَا مَضَى وَجَدِّدِ التَّوبَةَ فِي كُلِّ حَالْ (١٦٥)

ويؤكد **ابن جابر** أنَّ قُيُودَ الذَّنْبِ تَنْحَلُّ بالتوبة والاستغفار، يقول : (الكامل)

فَاحْلُلْ قُيُودَ الذَّنْبِ عَنْكَ بِتَوبَةٍ وَاسْتَغْفِرِ المَولَى تَجِدْهُ غَفُورَا (١٦٦)

وتمحو التوبةُ الذُّنُوبَ السَّالِفَة، كما وَرَدَ في الذِّكْرِ الحكيم، يقول **عبد الكريم القيسي** : (الطويل)

وَتُبْ تَوبَةً تَمْحُو بِهَا مَا اكْتَسَبْتَهُ مِنَ الذَّنْبِ وَالعِصْيَانِ فِي سَالِفِ العُمْرِ
فَبِالتَّوبَةِ الآثَامُ تُمْحَى عَنِ الفَتَى عَلَى مَا اقْتَضَاهُ النَّصُّ فِي مُحْكَمِ الذِّكْرِ (١٦٧)

يَرْجُو شُعَرَاءُ الأَنْدَلُسِ بتوبتهم حُسْنَ الثواب، وغُفْران الذَّنْب، ودُخُول الجَنَّة، والفَوز بالرِّضْوَان من التَّوَّاب الرَّحِيم .

أ) ذكر الله (ﷻ) :

الذَّاكِرُونَ هم المُفْلِحُونَ، والمُدَاوَمَةُ عَلَى الذِّكْرِ تَجْعَلُ المَرْءَ قريبًا من الله، وتَمْنَحُهُ اطمئنان القلب، وتَطْرُد الشَّيطان، وتَجْلِب البركة، وتُنَجِّي من عَذَابِ النَّارِ .

وذِكْرُ اللهِ من أَفْضَلِ الأعمالِ ثوابًا يوم القيامة ؛ لأنه يُنِيرُ القَلْبَ والجَوَارِحَ ؛ فيَرْتَدِع المَرْءُ عن فِعْلِ القبيح المَنْهِي عَنْهُ، ويلتزمُ بأوامر الله (ﷻ)، يقول **أبو إسحاق الألبيريّ** : (السريع)

وَأَكْثِرُوا مِنْ ذِكْرِ مَولاكُمُ فَذِكْرُهُ يُنْجِي مِنَ النَّارِ (١٦٨)

وتُغْفَرُ الذُّنُوبُ بِفَضْلِ شِهَادَةِ التَّوحِيدِ، يقول **ابن الصَّبَّاغ** : (الكامل)

مَنْ لِي إِذَا عُرِضَتْ عَلَيكَ جَنِيَّتِي إِنْ لَمْ تَكُنْ لِي بِالتَّجَاوُزِ تَسْمَحُ
أَتُرَى تُعَذِّبُ مُسْلِمًا وَلِسَانُهُ بِشِهَادَةِ التَّوحِيدِ فِيكَ يُصَرِّحُ
إِنْ أَثْقَلَتْ أَعْبَاءُ ذَنْبٍ ظَهْرَهُ فَبِفَضْلِهَا الأَعْبَاءُ عَنْهُ تُطْرَحُ (١٦٩)

إِنَّ ذِكْرَ اللهِ شفاءٌ للذنوب، وجَامِعٌ للخير، وجَالِبٌ للفَرح، وقُوَّة للبدن، ونُورٌ في الوَجْه، وشُعُورٌ بِالأُنْس .

ب) قِرَاءَةُ القُرْآنِ الكَرِيمِ :

لا بُدَّ مِنْ أَنْ يُشْغَلَ وِعَاءُ القَلْبِ بِقِرَاءَةِ القُرْآن الكريم ؛ فهي شِفَاءٌ ورَحْمَة ؛ إنها التجارة الرابحة التي تُحَقِّقُ غُفْرَان الذُّنُوبِ، والوِقَاية من الفقر، يقول **أبو عبد الله محمد بن صالح الكنانيّ الشاطبيّ** : (الوافر)

جَعَلْتُ كِتَابَ رَبِّي لِي بِضَاعَهْ فَكَيفَ أَخَافُ فَقْرًا أَو إِضَاعَهْ ؟ (١٧٠)

ويقول **أَبُو بَكْرٍ حَمْدُونُ بْنُ المُعَلِّمِ البَلَنْسِيُّ** : (البسيط)

الحَمْدُ لِلَّهِ جَلَّ اللَّهُ بَارِينَا مِنْ مِيتَةِ الجَهْلِ بِالتَّعْلِيمِ يُحْيِينَا

أَتَى بِنُورٍ وَآيَاتٍ مُفَصَّلَةٍ مِنْ كُلِّ دَاءٍ يُقَوِّي الذَّنْبَ يَشْفِينَا (١٧١)

إِنَّ قِرَاءَةَ القُرْآن تَمْحُو الذَّنْب، وتُنِيرُ العَقْل، وتَشْرَحُ الصَّدْر، وتُزِيلُ الهَمّ، وتُحَقِّقُ الأَمَانِيّ، يقول **أبو حَيَّان الأَنْدَلُسِيّ** : (الطويل)

وَمَنْ يُؤْتَ فَهْمًا فِي القُرَانِ فَإِنَّهُ يُفَتِّحُ مِنْهُ بِالذَّكَاءِ المَغَالِقَا

وَيَنْشَقُ مِنْ رَيَّاهُ عَرْفَ أَزَاهِرٍ تَرَى الجَوَّ مِنْهَا حِينَ تَأْرَجَ عَابِقَا

وَيُدْرِكُ بِالفِكْرِ المُصِيبِ لَطَائِفًا تَرَى اللَّفْظَ لِلمَعْنَى بِهِنَّ مُطَابِقَا

وَيَزْدَادُ بِالتَّكْرَارِ فِيهِ لَذَاذَةً كَمَا لُكْتَ مَعْسُولاً مِنَ الحُلْوِ صَادِقَا

وَمَنْ يَجْعَلِ القُرْآنَ نَصْبًا لِعَينِهِ يَنَلْ خَيرَ مَأْمُولٍ وَيَأْمَنْ بَوَائِقَا (١٧٢)

إِنَّ جَلاءَ الشَّكْوَى، وشِفَاء الداء، بقراءة القرآن الكريم، الذي لا تنقضي عجائبه، ولا يزدادُ القارئُ بقراءته إلا لَذَّةً عظيمة، وخيرًا عميمًا، يقول **عبد الكريم القيسي** : (الطويل)

وَمُدَّ يَدًا إِنِّي إِلَى اللهِ رَاغِبٌ لِيَكْشِفَ مَا تَشْكُو بِطَاهَا وَطَاسِيمِ(١٧٣)

ولا شيء أَنْفَعُ لِلقَلْبِ مِنْ قِرَاءَةِ القرآن الكريم ؛ فَبِهِ حَيَاةُ القُلُوبِ، ولو عَلِمَ الناسُ ما في تِلاوته – بِتَدَبُّرٍ – من الخير ؛ لانشغلوا به عَمَّا سِوَاه، يقول: (الكامل)

فَوَحقِّهِ وَوَحَقِّ آيَاتٍ بِهِ تُبْدِي العُيُونُ لِذِكْرِهِ اسْتِعْبَارَا

لَهُوَ الشِّفَاءُ لِكُلِّ مَكْلُومِ الحَشَى مَا عَدَّهُ لِلِسَانِهِ مِضْمَارَا (١٧٤)

إنَّ القُرْآنَ الكَرِيم حُجَّةٌ لِصَاحِبِه يوم القيامة، وبه يَحُوزُ المَرْءُ على خَيرَي : الدنيا والآخرة، ويُكْفَى هَمُّه، ويُغْفَرُ ذَنْبُه، وتُقْضَى حَاجَتُه، وتُرْفَعُ دَرَجَتُهُ، ويَجِدُ حَلاوَةَ الإيمانِ في قَلْبِه .

ج) قِيَامُ اللَّيلِ :

قِيَامُ اللَّيلِ من أفضل الأعمال الصالحة، وهو دَأْبُ المؤمنينَ، وبَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الخَيرِ، ودَلِيلٌ عَلَى شُكْرِ اللهِ عَلَى نِعَمِهِ ؛ وتَكْفِيرٌ عن الذنب، وطَلَبٌ لراحة النفس .

وقد صَوَّرَ **أبو إسحاق الإلبيريّ** حَالَ المُذْنِبِ الصَّادِقِ فِي تَوبَتِهِ ؛ إنه مُشْفِقٌ من العَذَاب، دَائِمُ البُكَاءِ بِدَمْعٍ غَزِير، يُشْبِهُ هُطُولَ المَطَرِ المُتَتَابِعِ ؛ مِنْ فَرْطِ خَوفِهِ مِنَ الله؛ لأنَّه يَسْتَعْظِمُ ذُنُوبَهُ، ويراها كالجِبَال فوق ظهره ؛ لذلك يلجأ إلى قِيَامِ الليلِ لِمُنَاجَاةِ رَبِّه، والتوسُّل إليه ؛ لِيَقْبَلَ تَوبَتَهُ، ويَمْحُو ذَنْبَهُ، يقول: (السريع)

وَتَائِبٌ مِنْ ذَنْبِهِ مُشْفِقٌ ... يَبْكِي بُكَاءَ الوَاكِفَاتِ الهُتُنْ
تَخَالُهُ بَينَ يَدَي رَبِّهِ ... فِي ظُلَمِ اللَّيلِ كَمِثْلِ الغُصُنْ
إِنْ مَهَّدَ النَّاسُ لِدُنْيَاهُمُ ... شَمَّرَ فِي تَمْهِيدِهِ لِلجَنَنْ (١٧٥)

ومَنْ يَقُمِ اللَّيلَ مُخْلِصًا لله، يَفُزْ بِالنَّجَاةِ مِنَ النَّارِ ؛ فلا يَسْتَوِي مَنْ أتلف عُمْرَهُ في النَّومِ، وطَلَبِ اللَّذَّة، ومَنْ شَرَّدَ الخَوفُ مِنَ النار نَومَهُ، ومِنَ المَعْرُوفِ أَنَّ مَنْ خَافَ اللهَ في الدنيا، أَمَّنَهُ مِنْ فَزَعِ يَومِ القِيَامة، يقول **ابن خَفَاجَة الأَنْدَلُسِيّ** : (الكامل)

طُوبَى لِعَبْدٍ قَامَ خَشْيَةَ رَبِّهِ ... وَاللَّيلُ قَدْ ضَرَبَ الظَّلامَ رِوَاقَا
قَلِقِ المَضَاجِعِ بَاتَ يَقْرَعُ سِنَّهُ ... نَدَمًا، وَيُرْسِلُ دَمْعَهُ إِشْفَاقَا (١٧٦)

ويُعْلِنُ **أبو الربيع سليمان الموحديّ** نَدَمَهُ على ما بَدَرَ مِنْهُ مِنْ ذُنُوب، يقول مُخَاطِبًا نَفْسَهُ، وناصحًا غيره : (الطويل)

تَنَبَّهْ أَيَا هَذَا النَّؤُومُ المُدَثِّرُ ... فَهَذِي تَبَاشِيرُ الصَّبَاحِ تُبَشِّرُ
تُبَشِّرُ بِالغُفْرَانِ مَنْ بَاتَ لَيلَهُ ... حَلِيفَ سُهَادٍ خَوفَ نَارٍ تَسَعَّرُ

وَأَسْفَرَ عَنْهُ لَيلُهُ وَهُوَ سَاجِدٌ وَأَدْمُعُهُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ تُهْمَرُ
تُنَادِي بِإِخْلاصٍ وَخَوفٍ وَرَهْبَةٍ: لَكَ العُذْرُ يَا مَولايَ إِنِّي مُقَصِّرُ (١٧٧)

ويقوم **يَحْيَى بْن مُحَمَّد التُّطَيلِيّ الهُذَلِيّ** (ت٦٢٩هـ) فِي ظُلْمَةِ الدُّجَى، ويَبْسُطُ كَفَّهُ مُنَاجِيًا رَبّه ؛ فَلا مَلاذَ له إلا إِيَّاهُ، راجيًا غُفْرَانَ ذَنْبِهِ، والفَوز بالعَفْو، يقول : (الطويل)

إِلَيكَ بَسَطْتُ الكَفَّ فِي فَحْمَةِ الدُّجَى نِدَاءُ غَرِيقٍ فِي الذُّنُوبِ عَرِيقِ
رَجَاكَ ضَمِيرِي كَي تُخَلِّصَ جُمْلَتِي فَكَمْ مِنْ فَرِيقٍ شَافِعٍ لِفَرِيقِ (١٧٨)

ويقول **ابن الصباغ** في وصف بعض الصالحين : (الكامل)

هَجَرُوا المَضَاجِعُ وَالتَّنَعُّمُ وَالهَوَى قَامُوا عَلَى قَدَمِ المَتَابِ الأَحْمَدِ
طَرَدُوا المَنَامَ عَنِ الجُفُونِ وَأَيقَظُوا جَفْنَ السُّهَادِ إِلَى الإِلَهِ الأَوحَدِ (١٧٩)

ويؤكد **ابن الخطيب** في قصيدة ميلاديَّة أَنَّ إِقَامَة لَيلة المَولد النَّبَوِي الشَّرِيف تَغْفِر الذُّنُوب ؛ لعظيم فَضْلِ الرسول (ﷺ) على أُمَّتِهِ، ومكانته السامية عنه رَبّه، يقول : (الطويل)

فَمَنْ، كَرَسُولِ اللهِ لِلخَلْقِ، مَلْجَأٌ إِذَا طَوَّحَتْهُمْ، لِلزَّمَانِ، الطَّوَائِحُ ؟
عِنَايَتُهُ بِالمُذْنِبِينَ عَظِيمَةٌ إِذَا عَظُمَتْ يَومَ الحِسَابِ الفَضَائِحُ
أَقَمْتَ لِمِيلادِ الرَّسُولِ شَعَائِرًا بِهَا اللهُ عَنْ ذَنْبِ المُسِيئِينَ صَافِحُ (١٨٠)

ويُوصِي **ابن جابر** الغافلَ بألا ينام في ليلة الثاني عَشَر من شهر ربيع الأول؛ فبفضل هذه الليلة المُبَارَكَة تُغْفَرُ الذُّنُوبُ، وعَلَى العَاقِلِ اغتنامُ فَضْلِ قِيَامِهَا، يقول : (الطويل)

هِيَ اللَّيلَةُ الغَرَّاءُ تَدْنُو بِهَا المُنَى وَيَأْمَنُ مِنْ هَولِ الذُّنُوبِ مَرُوعُ (١٨١)

ويخاطب **عبد الكريم القيسي** كَثِيرَ الرُّقَادِ ناصحًا : (البسيط)

فَقُمْ مِنَ النَّومِ وَاذْكُرْ وَاحِدًا صَمَدًا فَذِكْرُهُ لِرِضَاهُ أَفْضَلُ الطُّرُقِ
فَالصَّالِحُونَ قِيَامٌ طُولَ لَيلِهِمِ ذَوُو نَحِيبٍ عَظِيمِ الهَولِ مَعْ فَلَقِ
تَرَاهُمُ بَينَ تَالٍ لا فُتُورَ لَهُ وَذَاكِرٍ لاغْتِنَامِ الذِّكْرِ مُسْتَبِقِ (١٨٢)

إِنَّ لَذَّةَ قِيَامِ الليلِ لا تُدَانِيهَا لَذَّة، ويَجْنِي العَبْدُ – بفضلها – الرِّزْقَ الوَاسِعَ، وهُدُوءَ البَالِ، وحُسْنَ المآلِ، وطِيبَ الذِّكْرِ، ومَحَبَّةَ الرَّبّ، وبها يُوضَعُ لَهُ القَبُولُ في الأرض، ويَدْخُلُ جَنَّةَ الدُّنْيَا، التي مَنْ لَمْ يَدْخُلْهَا لَمْ يَدْخُلْ جَنَّةَ الآخِرَة .

د) رَجَاءُ عَفْوِ اللهِ (ﷻ) :

لا شك في أَنَّ تَغْلِيبَ رَجَاءِ رَحْمَة الله على الخوف من بطشه يُسَاعِدُ عَلَى التَّوَازُنِ النفسيّ، ومَنْ لازَمَ قَرْعَ بَابِ الدُّعَاءِ أَوْشَكَ أَنْ يُغْفَرَ ذَنْبُه .

وهذا **أبو إسحاق الإلبيري** يستخدم فعل الأمر(لازِمْ) للحَثّ على المُدَاوَمَة على الاستغفار دومًا، آناء الليل، وأطراف النهار، ثُمَّ يأتي بجواب الأمر : (إن لُزُومَهُ سَبَب الدخول) ؛ ليؤكد أَنَّ مَنْ يُدَاوِمُ عَلَى قَرْعِ بَابِ التَّوبة، لا بُدَّ مِنْ أَنْ يُفْتَحَ لَهُ يومًا ؛ فيفوز بالجنة، يقول : (الوافر)

وَلازِمْ قَرْعَ بَابِ الرَّبِّ دَأْبًا فَإِنَّ لُزُومَهُ سَبَبُ الدُّخُولِ (١٨٣)

ويُبَيِّنُ **ابن حمديس** شِدَّة حَاجَتِهِ إلى عَفْوِ الله، الذي يُقِيلُ عِثَارَ المُذْنِبِينَ بِكَرَمِهِ الوَاسِعِ، يقول : (المتقارب)

فَيَا رَبِّ، عَفْوَكَ عَنْ مُذْنِبٍ يَخَافُ لِقَاءَكَ بَعْدَ الحِمَامِ (١٨٤)

ويُؤَكِّدُ أَنَّ رَحْمَةَ اللهِ وَسِعَتْ كُلَّ شَيءٍ مِنَ الخَلْقِ، وقد جاء بهاتينِ الصفتينِ : (العظمة – الرحمة) لِتُنَاسِبَ حَالَ المُذْنِب الخاضع، الذي يكون في حَاجَةٍ مَاسَّة إلى رحمة رَبِّهِ العظيم، يقول : (المديد)

فَاسْأَلِ الرَّحْمَةَ رَبًّا عَظِيمًا وَسِعَتْ رَحْمَتُهُ كُلَّ شَيّ (١٨٥)

ولم يبقَ **لأُمَيَّة الداني** إلا رجاؤه أَنْ يُزَحْزِحَهُ اللهُ عَنْ جَهَنَّمَ بِعَفْوِهِ وسَعَة رَحْمَتِهِ، يقول : (البسيط)

يَا رَبِّ مِا لِي مَا أَرْجُو رِضَاكَ بِهِ إلا اعْتِرَافِي بِأَنِّي المُذْنِبُ الخَاطِي(١٨٦)

ويبدأ **أَبُو القَاسِم بْن الأبرش** (ت٥٣٢هـ) بالفعل المزيد بهمزة والمسند إلى ضمير الجماعة (أيأسوني) ؛ ليدل على أن هناك جماعة من الأفراد زَيَّنُوا

له الباطل، وأَغْرُوه بِمَزِيدٍ مِنَ الذُّنُوبِ، وهو يستنكرُ مَوقِفَهُمْ المُضَلِّل، ويَسْخَرُ مِنْهُم ؛ ثقةً مِنْهُ في عفو الله العظيمِ عن ذنبه العظيمِ، يقول : (الخفيف)

أَيْأَسُونِي لَمَّا تَعَاظَمَ ذَنْبِي أَتَرَاهُمْ هُمُ الغَفُورُ الرَّحِيمُ
فَذَرُونِي وَمَا تَعَاظَمَ مِنْهُ إِنَّمَا يَغْفِرُ العَظِيمَ العَظِيمُ (١٨٧)

ويَذْكُرُ **أبو الحسين بن جُبَير** (ت٦١٤هـ) العُصَاة، والعِصْيَان، والإساءة، وكُفْر النِّعَم، والجِنَاية، والجَرِيمة ؛ مِمَّا يَدُلُّ على مَبْلَغِ نَدَمِهِ، وهو يَطْلُبُ الصَّفْحَ مِنَ اللهِ (ﷻ)، ويَتَضَرَّعُ إليه خائفًا، كَمَن ارْتَكَبَ جُرْمًا، ويَتَرَقَّب عُقُوبَتَهُ، يقول : (المتقارب)

وَقُلْ رَبِّ هَبْ رَحْمَةً فِي غَدٍ لِعَبْدٍ بِسِيمَا العُصَاةِ اتَّسَمْ
جَرَى فِي مَيَادِينِ عِصْيَانِهِ مُسِيئًا، وَدَانَ بِكُفْرِ النِّعَمْ
فَيَا رَبِّ صَفْحَكَ عَمَّا جَنَى وَيَا رَبِّ عَفْوَكَ عَمَّا اجْتَرَمْ
(١٨٨)

ويقول **أحمد بن إبراهيم الثَّقَفِيّ** (ت٧٠٨هـ) إِنَّ ذُنُوبَهُ لا تُحْصَى، ولَكِنَّ عَفْو اللهِ أَكْبَرُ، وهو يرجوه (ﷻ) أَنْ يمحو ذُنُوبَهُ الكثيرة : (السريع)

يَا رَبِّ، عَفْوًا إِنَّهَا جَمَّةٌ إِنْ لَمْ يَكُنْ عَفْوَكَ لا أُمَّ لِي (١٨٩)

ويؤكد **أبو جعفر الإلبيري** (ت٧٧٩هـ) ثقته البالغة في رَحْمَةِ اللهِ، الذي يعفو عن المُذْنِبِ التَّائِبِ، يقول : (المجتث)

لا يُقْنِطَنَّكَ ذَنْبٌ قَدْ كَانَ مِنْكَ عَظِيمُ
فَاللهُ قَدْ قَالَ قَولاً وَهْوَ الجَوَادُ الكَرِيمُ
(نَبِّئْ عِبَادِيَ أَنِّي أَنَا الغَفُورُ الرَّحِيمُ) (١٩٠)

وقد أورث الذَّنْبُ **ابن جابر** الذُّلَّ والحَسْرَة، وأوقعه في الشدائد، وبعدما ضَاقَتْ حِيلَتُهُ لَجَأَ إلى غافر الذَّنْبِ الكَبِير، وطَلَبَ منه أَنْ يُؤَمِّنَ خَوفَهُ، ويَرْحَمَ تَذَلُّلَهُ، يقول : (الكامل)

أَنَا مِنْ ذُنُوبِي وَاقِعٌ فِي شِدَّةٍ وَسِوَاكَ فِي كَشْفِ الشَّدَائِدِ لَيسَ لِي
يَا رَبُّ، خُذْ بِيَدِي إِذَا كُشِفَ الغِطَا عَنَّا، وَضَاقَتْ حِيلَةُ المُتَحَيِّلِ

يَا رَبُّ، عَبْدُكَ قَدْ أَتَى مُتَذَلِّلاً مُتَخَوِّفًا مِنْ هَولِ ذَنْبٍ مُثْقِلِ
فَارْحَمْ تَذَلُّلَهُ، وَأَمِّنْ خَوفَهُ وَانْظُرْ لَهُ نَظْرَ الكَرِيمِ المُفْضِلِ (١٩١)

إن كلمة (أنا) في أول البيت لها وقعها الخاص في هذا الموضع، فهي تُوحي بخوف الشاعر وشِدَّة حُزْنِه، وأمله الواسع في رحمة الله (ﷻ)، التي سَبَقَتْ غَضَبُه .

ولا بُدَّ مِنْ حُسْنِ الظنِّ بالله، وعلى المُذْنِبِ أَنْ يَقْرَعَ السِّنَ نَدَمًا على ما اقترفته يَدَاهُ من ذُنُوب، ويَطْلُبُ عَفْوَ الرَّحْمَنِ ؛ فَيُصْبِح مُقْبِلاً على الطاعة والعبادة، طامعًا في الجَنَّة .

ثَانِيًا : التَّقْوَى :

التَّقْوَى وِقَايَةٌ بَينَ العَبْدِ وعُقُوبَةِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، إنها طاعة أوامر الله، وأداء الفَرَائِض، واجتناب المُحَرَّمَات، والانتهاء عن الخُلُقِ السَّيِّئ ؛ فَإِنَّ عِزَّ المَرْءِ تَقْوَاهُ ؛ لأَنَّ التَّقْوَى تَسْمُو بِالنَّفْسِ إلى مَكَارِمِ الأخلاق .

وهذا **أبو إسحاق الإلبيريّ** يُعَالِجُ دَاءَ الذُّنُوب بالتقوى : (الكامل)

وَلَوَ انَّنِي دَاوَيتُ مَعْطَبَ دَائِهَا بِمَرَاهِمِ التَّقْوَى لَوَافَقْتِ الشِّفَا (١٩٢)

ويُوصِي **أبو عُمَر بن عبد البَرّ** ابنه بتقوى الله سِرًّا وعَلانِيَة، يقول : (الطويل)

وَسَارِعْ بِتَقْوَى اللهِ سِرًّا وَجَهْرَةً فَلا ذِمَّةً أَقْوَى، هُدِيتَ، مِنَ التَّقْوَى (١٩٣)

إِنَّ الذُّنُوبَ أَمْرَاضُ الْقُلُوبِ؛ لأَنَّها « مَتَى اسْتَحْكَمَتْ قَتَلَتْ وَلا بُدَّ، وَكَمَا أَنَّ البَدَنَ لا يَكُونُ صَحِيحًا إلا بِغِذَاءٍ يَحْفَظُ قُوَّتَهُ ... فَكَذَلِكَ القَلْبُ لا تَتِمُّ حَيَاتُهُ إلا بِغِذَاءٍ مِنَ الإِيمَانِ وَالأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، تَحْفَظُ قُوَّتَهُ » (١٩٤) ؛ لذا عَلَى العَاقِلِ الالتزام بِتَقْوَى الله، واغتنام الوقت في العمل الصالح الذي يعودُ عليه، أو على غيره، بالنَّفْع، ويرجو به النجاةَ في آخرته .

إِنَّ عِبَادَ الله المُخْلَصِينَ، زَهِدُوا في الدنيا، وخَافُوا مِنَ الفِتَنِ، التي تَدَعُ اللَّبِيبَ حَائِرًا، ولَمَّا عَلِمُوا أَنَّ الدُّنْيَا دَارُ مَمَرّ، اتَّخَذُوهَا مَطِيَّةً تَصِلُ بِهِمْ إِلَى

الآخِرَة ؛ بُغْيَةَ رِضَا الله ؛ فقد أَعْمَلُوا عُقُولَهُمْ، وأدركوا أنَّ سَبِيلَ النَّجَاةِ في الدنيا هو العمل الصالح .

أ) زِيَارَةُ الأَمَاكِنِ المُبَارَكَة :

*** زِيَارَةُ الكَعْبَةُ المُشَرَّفَة :**

أَثَارَ بُعْدُ المَسَافَةِ بين الأندلس والأماكن المُقَدَّسَة مَشَاعِرَ الشَّاعِرِ الأندلسيّ، وهَيَّج حَنِينَهُ الجَارِفَ إلي زِيَارة هذه الدِّيَار المُبَارَكَة ؛ بُغْيَةَ تكفيرِ الذُّنُوب، والنَّجَاةِ مِنَ النَّارِ، وتيسيرِ الرِّزْق، ونَفْيِ الفقر، وجَلْبِ السعادة .

وهذا **ابن السِّيد البَطَلْيُوسِيّ** (ت٥٢١هـ) يُخَاطِبُ مَكَّة المُكَرَّمَة : (الطويل)

أَمَكَّةُ تَفْدِيكِ النُّفُوسُ الكَرَائِمُ وَلا بَرِحَتْ تَنْهَلُّ فِيكِ الغَمَائِمُ
وَسَاوَيتِ فِي الفَضْلِ المَقَامَ، كِلاكُمَا تُنَالُ بِهِ الزُّلْفَى، وَتُمْحَى المَآثِمُ
فَيَا لَيتَ شِعْرِي هَلْ أُرَى فِيكِ دَاعِيًا إِذَا مَا دَعَتْ لِلَّهِ فِيكِ الغَمَائِمُ
وَهَلْ تَمْحُوَنْ عَنِّي خَطَايَا اقْتَرَفْتُهَا خُطًى فِيكِ لِي أَو يَعْمُلاتٍ رَوَاسِمُ
وَكَمْ زَارَ مَغْنَاكِ المُعَظَّمَ مُجْرِمٌ فَحُطَّتْ بِهِ عَنْهُ الخَطَايَا العَظَائِمُ(١٩٥)

تُمْحَى الذنوبُ بزيارة مَكَّة ؛ فهي أرضٌ مُبَارَكَة، تَهْفُو إليها القُلُوبُ فِي مَشَارِقِ الأرض ومغاربها .

ويتشوق **أبو بكر السَّلاوِيّ الواعظ** (ت٥٦٣هـ) إلى أداء فريضة الحج، بعدما حَالَتِ المَوَانِعُ دون ذلك، ويؤكد أنَّ الوُقُوفَ بعَرَفَة يَمْحُو الذنوبَ، يقول : (الرمل)

يَا رِجَالاً بَينَ أَعْلامِ مِنًى الْثِمُوا الأَسْتَارَ وَاسْعَوا رَمَلا
وَقِفُوا فِي عَرَفَاتٍ وَقْفَةً تَمْحُ عَنْ ذِي زَلَّةٍ مَا عَمِلا (١٩٦)

ويشتدُّ حَنِينُ **أبي الحُسَين بن جُبَير** إلى أداء فريضة الحج ؛ فبها تُحَطُّ الأوزار، يقول : (المتقارب)

هَنِيئًا لِمَنْ حَجَّ بَيتَ الهُدَى وَحَطَّ عَنِ النَّفْسِ أَوزَارَهَا (١٩٧)

ويَجْعَلُ **حَازِم القَرْطَاجَنِيّ** رَمْيَ الحُجَّاجِ لِلجِمَارِ مُطْفِئًا لِسَعِيرِ الذَّنْبِ، يقول : (البسيط)

سُبْحَانَ مَنْ شَاءَ فِي رَمْيِ الجِمَارِ لَهُمْ إِطْفَاءَ مَا بِجِمَارِ الذَّنْبِ مِنْ ضَرَمِ(١٩٨)

ويؤكد **ابن جابر** أنه لا يَشْفِي ذُنُوبَهُ إلا أداء فريضة الحج، والمَبِيت بِمِنَى، والوقوف بعَرَفة، يقول عن مَكّة المُكَرَّمة : (الطويل)

وَمَنْ لَيسَ يُعْطِي فَضْلَ مَكَّةَ حَقَّهُ فَلَيسَ لِصِدْقٍ بَينَ جَنْبَيهِ مَوضِعُ
مُحَرَّمَةٌ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُخْلَقَ السَّمَا فَحُرْمَتُهَا حَتَّى القِيَامَةِ تُشْرَعُ
وَفِي بَيتِهَا لِلزَّائِرِينَ مَثَابَةٌ وَأَمْنٌ وَتَطْهِيرٌ لِمَا الذَّنْبُ يَصْنَعُ(١٩٩)

جعل اللهُ البيتَ الحَرَامَ مثابةً للناس وأَمْنًا، ومَنْ حَجَّ حَجًّا مَبْرُورًا عَادَ إِلَى بَيتِهِ كَيَومِ وَلَدَتْهُ أُمّه ؛ لأَنَّهَا أَرْضٌ تَطْرَحُ الذَّنْبَ، يقول **عبد الكريم القيسي:** (الوافر)

وَمَا يَشْفِي الذِي أَشْكُوهُ إِلاَّ مَبِيتِي مُحْرِمًا أَدْعُو بِجَمْعِ (٢٠٠)

يُشْفَى دَاءُ الذُّنُوبِ بأداء فريضة الحَجّ وقَضَاءِ المَنَاسِكِ ؛ حيثُ يَجُودُ رَبُّ العَالَمِينَ بالغُفْرَان، ويَتَغَمَّدُ الحجيجَ بواسع رَحْمَتِهِ وفَضْلِهِ .

*** زِيَارَةُ المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ :**

لقد تَفَرَّدَتِ المَدِينةُ المُنَوَّرة عن جميع بلاد المسلمين ؛ لأَنَّهَا ضَمَّتْ جُثْمَان الرسول (ﷺ)، وهذا ما جعلها أشرف البلاد، وفي شعر المدائح النبويَّة « رمزيَّة ارتبطت بوصف الروضة الشريفة التي بين قبر النبيّ (ﷺ) ومِنْبَرِهِ ... وهي رمزٌ للجَنَّةِ المَوعُودَة ؛ حيثُ لقاء الأَحِبَّة والخلود في الأبديَّة » (٢٠١) .

وزيارة الرسول (ﷺ) تمحو الذنوب، وتُذْهِبُ الهَمَّ، وتَجْلِبُ الرزق، وتُنِيرُ الوَجْه، وتُؤَمِّن الخَائِف، وتَشْرَحُ الصَّدْرَ، وتَشْفِي الداء، وتُقَوِّي البَدَن، وتُفَرِّجُ الكُرَب .

وهذا **ابنُ الصَّبَّاغ** يَجْعَلُ شِفَاءَهُ في زيارة المدينة المُنَوَّرة، يقول : (الكامل)

رِقُّوا لِفَرْطِ سَقَامِ صَبٍّ مُكْمَدٍ فِي أَرْضِ طَيبَةَ بُرْءُهُ وَشِفَاهُ (٢٠٢)

ففي قباب المجد تُشْفَى نَفْسُ العَلِيلِ، وتُعَالَج الكُلُومُ، يقول : (الكامل)

يَا رَبِّ بِالمُخْتَارِ يَسِّرْ زَورَةً تَمْحُو بِهَا الآثَامَ وَالأَوزَارَا (٢٠٣)

ويرجو **مُحَمَّد بْن رُشَيد السَّبْتِيّ** (ت٧٢١هـ) غُفْرَان ذُنُوبِه بِزِيَارَةِ الضريح المُبَارَك، يقول : (الطويل)

أَقُولُ إِذَا أَوفَيتُ أَكْرَمَ مُرْسَلٍ قِرَايَ عَلَيكُمْ أَنَّ ذَنْبِيَ يُغْفَرُ (٢٠٤)

إِنَّ المدينةَ المُنَوَّرة بِهَا خَيرُ مَنْ تُرْجَى شَفَاعَتُهُ، والذنبُ فِيهَا مُغْتَفَر، والعَفْوُ مَأْمُول، والسائلُ مَجْبُور، يقول **ابن جابر** : (الطويل)

صَرَفْنَا رَسُولَ اللهِ وَجْهَ رَجَائِنَا إِلَيكَ وَلا يُظْمَى امْرُؤٌ يَمَّمَ البَحْرَا
لَقَدْ كَسَرَتْ أَيدِي الذُّنُوبِ قُلُوبَنَا وَهَا نَحْنُ قَدْ جِئْنَاكَ نَلْتَمِسُ الجَبْرَا(٢٠٥)

يَرْجِعُ زَائِرُ المَدِينة المُنَوَّرة وقد غُفِرَ ذَنْبُهُ، وزَادَ رِزْقُهُ، وكُفِيَ هَمُّهُ ؛ فقد فَازَ فَوزًا عَظِيمًا، وصَارَ مِنَ الآمِنِينَ .

ب) عِصْيَانُ هَوَى النَّفْسِ :

من المعروف أنَّ الصوفيَّة يجعلون نَفْسَ الإنسانِ مَصْدَرًا للأفعال الشريرة، ومن هنا ارتكزت حياتهم الرُّوحيَّة على مجاهدة النفس، « والحَمْل عليها بالعَنَت والمَشَقَّة ؛ حَتَّى ترتاض وتَسْكُنَ إلى ما يَغْمُرُهَا به القَلْبُ مِنْ نَفَحَاتِ الخَيرِ والخُلُق الكريم ... وبذلك أصبحت المَشَقَّة شيئًا مقصودًا من الصوفيَّة ؛ لأنها بِقَدْرِ ما تُضْعِفُ من سُلْطَانِ النَّفْسِ تُقَوِّي من سُلْطَانِ الرُّوحِ، وتُعِينُهَا عَلَى التَّسَامِي نحو عَالَمِهَا الرُّوحَانيّ، وقد جَعَلُوا مُخَالَفَةِ الهَوَى مقياسًا يَضْمَنُ سَلامَةَ العَمَلِ من وِجْهَةِ النَّظَرِ الخُلُقيَّة » (٢٠٦) .

وهذا **أبو عَقَّال بن غَلْبُون** بَعْدَ أَنْ ارتَفَعَت الغِشَاوَةُ عَنْ عَينه، وانْجَلَتْ ظُلْمَةُ قَلْبِهِ، خَالَفَ هَوَى نَفْسِهِ، وألزمها الطاعة والعمل الصالح، يقول : (المقارب)

فَأَلْزَمْتُ نَفْسِي مَدَى صَبْرِهَا وَخَالَفْتُهَا فِي هَوَاهَا عِنَادَا (٢٠٧)

ويجاهدُ **ابن حَزْم** نَفْسَهُ الجِهَادَ الأَكْبَر، ويَصْرِفَهَا عَنْ هَوَاها ؛ لأنه راغبٌ في الجنة، يقول : (الطويل)

وَأَصْرِفُ نَفْسِي عَنْ وُجُوهِ طِبَاعِهَا إِذَا فِي سِوَاهَا صَحَّ مَا أَنَا أَرْغَبُ(٢٠٨)

وينبغي للعاقلِ أن يُجَاهِدَ نفسه، ويَأْمُرَهَا بِالتزام طاعة الله، وينهاها عَمَّا نَهَى اللهُ عَنْهُ ؛ لتفوزَ بالسعادة في الدَّارَينِ : الدنيا والآخرة ؛ لذا ينصحُ **أبو الوليد الباجي** مَنْ غَرَّتْهُ الحياةُ الدُّنْيَا قائلاً : (الطويل)

وَجَاهِدْ عَنِ اللَّذَّاتِ نَفْسَكَ جَاهِدًا فَإِنَّ جِهَادَ النَّفْسِ خَيرُ جِهَادِ (٢٠٩)

ويرى **أبو الأصبع عبد العزيز بن عليّ المعروف بابن الطَّحَّان الإشبيليّ** (ت بعد ٥٥٩هـ) أنَّ هَوَى النَّفْسِ يُضِلُّ عَنْ سَبِيلِ الرَّشَاد، ولا بُدّ مِنْ مُخَالَفَتِهِ، والخَوف من الجليل، وتَرْك الذُّنُوب ؛ للنجاةِ من أهوال الآخرة، يقول : (مجزوء الوافر)

وَعَادِ النَّفْسَ مُصْطَبِرًا وَنَكِّبْ عَنْ خَلائِقِهَا
هَلاكُ المَرْءِ أَنْ يُضْحِي مُجِدًّا فِي عَلائِقِهَا
وَذُو التَّقْوَى يُذَلِّلُهَا فَيَسْلَمُ مِنْ بَوَائِقِهَا (٢١٠)

الهَلاكَ فِي طَاعَة النفس، والسلامة في مُعَادَاتِهَا، ويَحْسُنُ للعاقل أَنْ يُذَلِّلَهَا لِتَسْلُكَ سبيلَ الطاعةِ ؛ فينجو من عذاب النار، يقول **أبو الربيع سليمان المُوَحِّدِيّ** : (البسيط)

يَا نَفْسُ حَسْبُكِ مَا فَرَّطْتِ فَازْدَجِرِي عَنِ الذُّنُوبِ ؛ فَإِنَّ القَبْرَ مَثْوَاكِ
خَافِي الإِلَهَ لِمَا قَدَّمْتِ مِنْ زَلَلٍ وَاعْصِي هَوَاكِ فَإِنَّ اللهَ يَرْعَاكِ (٢١١)

لا بُدَّ مِن الالتزام بالطاعة، والصَّبْر عليها ؛ انتظارًا للثواب الذي أَعَدَّهُ الله (ﷻ) للمُتَّقِينَ يوم القيامة، يقول **عبد الكريم القيسي** : (الوافر)

إِذَا مَا النَّفْسُ مَالَ بِهَا هَوَاهَا لأَمْرٍ مَا شِمَالاً أَو يَمِينَا
أَقُولُ لَهَا اقْصِدِي نَفْسِي وَكُفِّي فَإِنِّي قَدْ بَلَغْتُ الأَرْبَعِينَا
وَحَسْبِي مَا مَضَى عَنِّي وَوَلَّى وَأَصْبَحْتُ الغَدَاةَ بِهِ رَهِينَا
فَمَا زَالَ الهَوَى يُرْدِي قَدِيمًا وَيُورِثُ أَهْلَهُ دَاءً دَفِينَا
وَمَنْ عَادَى الهَوَى وَالعَكْسَ وَالَى مِنَ الشَّرِّ اقْتَنَى عِلْقًا ثَمِينَا
وَسَارَ بِسِيرَةٍ يُثْنَى عَلَيهَا وَسَاوَى مَنْ سَمَا عِلْمًا وَدِينَا (٢١٢)

مَنْ سَلَكَ طَرِيقَ الخَيرِ فقد اقْتَنَى عِلْقًا ثَمِينًا، وفَازَ بِالجَنَّة، ومَنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ، ومال مَعَهُ تارةً إلى اليمين وتارةً إلى اليسار، خَابَ وخَسِرَ، ووَرِثَ دَاءً دَفِينًا، أورده مَوَارد الهلاك، وسُوء الخَاتِمَة .

ج) الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا :

تَعَمَّدَ شُعَرَاءُ الزُّهْدِ في الأندلس إثارة وَعْي المُخَاطَب، والتنبيه على عَاقِبَة حُبّ الدنيا، والتكالُب عليها، واستقوا كثيرًا مِنْ مَعَانِيهم مِنْ آيات الله البَيِّنَات والأحاديث النبويَّة الشريفة ؛ لِيُدَعِّمُوا كلامهم بالبُرْهان والحُجَّة، ويؤكدوا أَنَّهُ مِنَ الغَبْنِ بَيع الآخِرة (وَعْد صادق)، وشِرَاء الدُّنْيَا (عَرَض زائل) .

وانتهوا إلى أنَّ الزُّهْدَ في الدُّنيَا سبيل طهارة النفس ؛ فمن رَغِبَ عن الدنيا، عَظُمَتْ في عينه الآخرة، وأقبل عليها .

وهذا **مُحَمَّد بن عبد الله بن أبي زَمْنِين** (ت٣٩٩هـ) يُعَاتِبُ صاحِبَ الدُّنيا المُحِبَّ لها ؛ لأَنَّهُ في تَعَبٍ لا ينتهي، يقول : (البسيط)

لا تَطْمَئِنَّ إِلَى الدُّنْيَا وَزُخْرُفِهَا وَإِنْ تَوَشَّحَتْ مِنْ أَثْوَابِهَا الحَسَنَا(٢١٣)

ويَزْهَدُ **أبو إسحاق الإلبيريّ** في الدنيا، التي تَغُرُّ الناسَ بِزُخْرِفِهَا الخَادِع، يقول : (الكامل)

وَهَجَرْتُ دُنْيَا لَمْ تَزَلْ غَدَّارَةً بِمُؤَمِّلِيهَا المُمْحِضِينَ لَهَا الوَفَا

سَحَقَتْهُمُ وَدِيَارَهُمْ سَحْقَ الرَّحَا فَعَلَيهِمُ وَعَلَى دِيَارِهُمُ العَفَا (٢١٤)

تُغْرِي الدُّنْيَا أَهْلَها بِلَذَّاتِهَا، وعندما يستجيبون لها، تَغْدِرُ بهم سَاخِرَةً، ثُمَّ تُبِيدُهُمْ، وتُفْنِي دِيَارَهُمْ، كَمَا تَطْحَنُ الرَّحَا الحُبُوب وتَسْحَقُهَا، إنها سريعة الزوال، تتقلب بأهلها من حالٍ إلى حال، يقول : (الكامل)

أَنْتِ السَّرَابُ، وَأَنْتِ دَاءٌ كَامِنٌ بَينَ الضُّلُوعِ فَمَا أَعَزَّ دَوَاكِ

يُعْصَى الإِلَهُ إِذَا أُطِعْتِ وَطَاعَتِي لِلَّهِ رَبِّي أَنْ أَشُقَّ عَصَاكِ (٢١٥)

شَبَّهَ الدنيا بالسَّرَاب، ووَجْه الشَّبَه الخِدَاع، وشَبَّهَهَا بالدَّاءِ الخَفِيّ المُسْتَتِر في الضلوع، ووجه الشَّبَه الأَلَم، ويهدف من هذين التشبيهين إلى التأثير في وِجْدَان السَّامِع، ودَفْعه إلى هَجْر الدنيا اتقاءً لِشَرِّهَا .

وقد اعتمد على الكناية : (أَشُقَّ عَصَاكِ) ؛ لِيُعَبِّرَ عن إيثار مرضاة الرَّبِّ والعمل للآخرة على زخارف الدنيا .

ويُوصِي **أبو عُمَر بن عبد البَرّ** ابنه باحتقار الدُّنْيَا، والتَّمَسُّك بالعُرْوَة الوُثْقَى : (الطويل)

تَجَافَ عَنِ الدُّنْيَا، وَهَوِّنِ لِقَدْرِهَا وَوَفِّ سَبِيلَ الدِّينِ بِالعُرْوَةِ الوُثْقَى (٢١٦)

ويَتَزَوَّدُ العَاقِلُ مِنْ دُنْيَاهُ الفانية (دار اللهو والفتنة) لآخرته الباقية (دار الجزاء)، ولا يَمُدُّ عَينَيهِ إِلَى زخارف الدنيا طامعًا، ولكن يلتفت إلى نَفْسِهِ فَيُصْلِحها، ويُهَذِّبها، ويُزَكِّيها، ويُحَصِّنهَا ؛ ليخرج من الدنيا بِزَادٍ وَافِرٍ من التقوى، يُثَقِّلُ مِيزَانَهُ يوم الحساب، يقول **أبو الوليد الباجي** : (الطويل)

تَبَلَّغْ إِلَى الدُّنْيَا بِأَيسَرِ زَادِ فَإِنَّكَ عَنْهَا رَاحِلٌ لِمَعَادِ
وَغَضِّ عَنِ الدُّنْيَا وَزُخْرُفِ أَهْلِهَا جُفُونَكَ، وَاكْحَلْهَا بِطُولِ سُهَادِ
فَمَا هَذِهِ الدُّنْيَا بِدَارِ إِقَامَةٍ فَيُعْتَدَّ مِنْ أَغْرَاضِهَا بِعَتَادِ
وَمَا هِيَ إِلاَّ دَارُ لَهْوٍ وَفِتْنَةٍ وَإِنَّ قُصَارَى أَهْلِهَا لِنَفَادِ (٢١٧)

ويَذُمُّ **المُعْتَمِدُ بن عَبَّاد** الدُّنْيَا، ويصفها بأنها غير مأمونة العَوَاقب، ويُحَذِّر الناسُ من السَّعْي وَرَاءَ زَخَارِفها ؛ لأنَّ في ذلك مَعْصِية لله تعالى، يقول: (الوافر)

أَرَى الدُّنْيَا الدَّنِيَّةَ لا تُوَاتِي فَأَجْمِلْ فِي التَّصَرُّفِ وَالطِّلابِ
وَلا يَغْرُرْكَ مِنْهَا حُسْنُ بُرْدٍ لَهُ عَلَمَانِ مِنْ ذَهَبٍ الذَّهَابِ
فَأَوَّلُهَا رَجَاءٌ مِنْ سَرَابٍ وَآخِرُهَا رِدَاءٌ مِنْ تُرَابِ (٢١٨)

بعد تجربة السجن المريرة التي عاني منها المُعْتَمِد عَلِمَ حقيقة الدنيا، وأنها تَخْدَعُ النَّاسَ بِالأَمَانِي، وتَغُرُّهُمْ بالباطل، ولا يَحْصُدون مِنْ وراء ذلك إلا الندم ؛ لذا ينصحهم بألا يتكالبوا للفوز بمتاعها القليل، وينهاهم عن الاغترار بنعيمها الزائل ؛ ففي زَمَنِ الشَّبَابِ يرجو المَرْءُ المُتْعَةُ، ولا يَجِدُ إلا السَّرَاب، وفي نِهاية العُمْر يَلْبَسُ كَفَنَهُ، ويُوَارَى في التراب .

ويُشَبِّهُ **ابنُ عَبْدُون** الدنيا – في غَدْرِهَا – بالحَيَّة التي تَنْفُثُ سُمَّهَا – على حِينِ غَفْلَة – فِيمَنْ جَاءَ لِيَجْنِي الورود الجميلة مِنَ الحديقة المُزْدَانة بأنواع الزهر ؛ فهي تُخْفِي الغَدْرَ فِي باطنها، وتظْهِرُ الوُدّ في ظَاهِرِ أَحْوَالِهَا، يقول : (البسط)

فَلا تَغُرَّنَكَ مِنْ دُنْيَاكَ نَومَتُهَا فَمَا صِنَاعَةُ عَينَيهَا سِوَى السَّهَرِ
تَسُرُّ بِالشَّيءِ لَكِنْ كَي تَغُرَّ بِهِ كَالأَيمِ ثَارَ إِلَى الجَانِي مِنَ الزَّهَرِ (٢١٩)

وقد جاء بأسلوب النَّهْي (فَلا تَغُرَّنَكَ) ؛ لِيُنَبِّه الغَافِلِ قَبْلَ ضياع الفُرْصَة، واستخدم كاف الخطاب في قوله : (تَغُرَّنك – دُنْيَاك) لاستحضار المُخَاطَب، وتوجيه التحذير إليه بصورة مُبَاشِرَة .

ويَنْصَحُ **القاضي أبو حفص عُمَر السُّلَمِيّ** (ت٦٠٣هـ) بالزُّهْدِ في الدُّنْيَا ؛ فَإِنَّ وَرَاءَهَا يومًا ثَقِيلاً، يُسْأَلُ المَرْءُ فِيهِ عَمَّا قَدَّمَتْ يَدَاهُ، يقول : (السريع)

أَعْرِضْ عَنِ الدُّنْيَا تَكُنْ سَيِّدًا بَلْ مَلِكًا فِيهَا وَفِي الآخِرَهْ (٢٢٠)

وعَلَى العَاقِلِ أن يكونَ في شُغْلٍ شَاغِلٍ بأمور الآخرة، ويُفَكِّرُ فِي المَوتِ وَمَا بَعْدَهُ، ويُعْرِض عن الدنيا ؛ لأنها دار أذى، يقول **ابن جابر** : (الوافر)

وَلَنْ تَقْوَى عَلَى التَّقْوَى إِذَا لَمْ تَكُنْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا زَهِدْتَا (٢٢١)

نَبَّه شُعَرَاءُ الزُّهْدِ فِي الأندلس الغافلينَ، ونصحوهم بعدم إيثار مَتَاع الدنيا على الآخرة، وأكَّدُوا هَوَانَ الدُّنْيَا على المُؤْمِن ؛ فإنَّ مَنْ عَرَفَ الدنيا زَهِدَ فيها، ولم يَطْمَئِنَّ إليها .

د) سِجْنُ اللِّسَانِ :

يَحْصُدُ الإنسانُ كثيرًا مِنَ الذُّنُوبِ بسبب لسانه ؛ لأنه مُحَاسَبٌ عَلَى كُلِّ كَلِمَة صغيرة أو كبيرة ؛ فلا بُدَّ من أنْ يَتَنَبَّه إلى ما يقوله، وعليه أَنْ يَصُونَ لِسَانَهُ عَمَّا لا يليقُ به من غيبة أو نميمة أو ما لا يُفِيدُ ذِكْرُهُ، وإِنْ لم يستطع فعليه بالصمت ؛ فهو أفضل من لَغْو الكلام .

وهذا **الغَزَالُ** يدعو إلى حِفْظِ اللِّسَانِ من البَذَاءَةِ والفُحْش، وإِنْ لَمْ يَكُنْ من الكلام بُدّ ؛ فليكنِ الكلامُ مفيدًا نافعًا، يقول : (الكامل)

وَرَأَيتُ أَلْسِنَةَ الرِّجَالِ أَفَاعِيًا طَورًا تَثُورُ، وَتَارَةً تَغْتَالُ

فَإِذَا سَلِمْتَ مِنَ المَقَالَةِ غَيرَ مَا تَجْنِي؛ فَأَنْتَ الأَسْعَدُ المِفْضَالُ!(٢٢٢)

ولا بُدَّ مِنْ صَونِ اللِّسَانِ عن أذى الآخرين ؛ فإنَّ الخيرَ أَجْمَعُ في السكوت، يقول **أبو بكر مُحَمَّد بن سَعْدُون** (ت٣٤٤هـ) : (الكامل)

سِجْنُ اللِّسَانِ هُوَ السَّلامَةُ لِلفَتَى مِنْ كُلِّ نَازِلَةٍ لَهَا اسْتِئْصَالُ

إِنَّ اللِّسَانَ إِذَا حَلَلْتَ عِقَالَهُ أَلْقَاكَ فِي شَنْعَاءَ لَيسَ تُقَالُ (٢٢٣)

ويُصَرِّحُ **ابن حمديس الصَّقَلِّيّ** بأنَّ اللِّسَانَ حَقِيقٌ بالسِّجْن الطويل، وأَنَّ سَلامَةَ الإِنْسَانِ – في ذلك الزمان – في التزامه الصَّمْت، يقول : (الطويل)

لِسَانُ الفَتَى عَبْدٌ لَهُ فِي سُكُوتِهِ وَمَولًى عَلَيهِ جَائِزٌ إِنْ تَكَلَّمَا

فَلا تُطْلِقَنْهُ وَاجْعَلِ الصَّمْتَ قَيدَهُ وَصَيِّرْ إِذَا قَيَّدْتَهُ سِجْنَهُ الفَمَا (٢٢٤)

واللسانُ ليثٌ هَصُور يسعى للانقضاض على فريسة، والتهامها، وتمزيقها إِرْبًا إِرْبًا بلا هَوَادَة، والكلامُ سِنَانٌ يُسَاعِدُهُ على إنجاز مُهِمَّتِهِ بنجاح باهر، يقول **أبو القاسم بن الأنقر السَّرَقُسْطِيّ** : (الكامل)

احْفَظْ لِسَانَكَ وَالجَوَارِحَ كُلَّهَا فَلِكُلِّ جَارِحَةٍ عَلَيكَ لِسَانُ

وَاخْزُنْ لِسَانَكَ مَا اسْتَطَعْتَ ؛ فَإِنَّهُ لَيثٌ هَصُورٌ، وَالكَلامُ سِنَانُ (٢٢٥)

وكَثِيرًا ما أَدَّى الكلامُ إلى حُرُوبٍ وفِتَن ؛ فخُرِّبَتْ البيوت، ومُزِّقَتْ الأرحام بسبب الكلام الفاحش، يقول **عبد الله والد لسان الدين بن الخطيب** : (السريع)

عَلَيكَ بِالصَّمْتِ فَكَمْ نَاطِقٍ كَلامُهُ أَدَّى إِلَى كَلْمِهِ (٢٢٦)

إِنَّ مِنَ السُّكُوتِ ما هُوَ أَبْلَغُ مِنَ الجَوَابِ، يقول **ابن لِيون التُّجِيبِيّ** : (مجزوء الكامل)

الصَّمْتُ عِزٌّ حَاضِرٌ وَسَلامَةٌ مِنْ كُلِّ شَرّ

فَإِذَا نَطَقْتَ فَلا تُكَثْـ ثِرْ وَاجْتَنِبْ قَولَ الهَذَرْ (٢٢٧)

لقد رأى شُعَراءُ الأندلس النجاةَ والسلامةَ في التزام سَمْت الصَّمْت؛ فإنَّ العَاقِلَ مَنْ أَلْجَمَ فَاهُ بِلِجَام، وسَجَنَ لِسَانَهُ طويلاً .

ثالثًا : التوسُّل بالرسول (ﷺ) :

يُقبلُ المُذْنِبُ على الله (ﷻ) خائفًا خاضعًا معترفًا بإسرافه على نفسه في اقتراف الذنوب، غير أنه طامعٌ في عَفْوِهِ، متوسلٌ إلى ذلك بشفاعة الرسول الكريم (ﷺ) ؛ فهو خَيْرُ مَنْ تُرْجَى شَفَاعَتُه – في الذنوب – يوم القيامة ؛ لأنَّ شَفَاعَتَهُ لا تُرَدّ .

أ) طَلَبُ شَفَاعَةِ الرَّسُولِ(ﷺ) :

نَظَمَ كثيرٌ من شعراء الأندلس المدائح النبويَّة يطلبون فيها شفاعة الرسول (ﷺ) ؛ للخلاص من ذُنُوبِهِمْ، ويعلنون فيها توبتهم عَمَّا كانوا عليه، إنَّهُمْ يتوسَّلون إليه – بأساليب الرجاء – لنيل الشَّفَاعَةِ في الآخرة .

ويُؤمِنُ أئمة الصوفيَّة « بالتوسُّل إلى الله تعالى بأنبيائه ورُسُلِه وصالحات الأعمال، والتوسُّل هو التقرُّب إلى الله تعالى، كَأَنْ يُتَوَسَّل بجاه الرسول (ﷺ) » [٢٢٨] .

وهذا **صَفْوَان بْن إِدْرِيس التُّجِيبِيّ** (ت٥٩٨هـ) يَتَمَادَى في المعصية، ويُسْرِفُ على نفسه، وعندما يسأله قومٌ : أَعِنْدَكَ مَا تَرْجُو الخَلاصَ بِهِ من هذه الذنوب ؟ يُجِيبُ – بِثِقَةٍ ويَقِين – نَعَمْ، سَيَشْفَعُ لِي سَيِّدُ المُرْسَلِينَ : (الطويل)

يَقُولُونَ لِي لَمَّا رَكِبْتُ بِطَالَتِي ... رُكُوبَ فَتًى جَمَّ الغَوَايَةِ مُعْتَدِي :
أَعِنْدَكَ شَيءٌ تَرْتَجِي أَنْ تَنَالَهُ ؟ ... فَقُلْتُ: نَعَمْ عِنْدِي شَفَاعَةُ أَحْمَدِ[٢٢٩]

وَيَظْلِمُ **ابن الجَنَّان الأَنْصَارِيّ** نَفْسَهُ، ثُمَّ يَثُوبُ إِلَى رُشْدِهِ، ويَطْلُبُ شَفَاعَةَ خَاتَمِ الرُّسُلِ فِي ذُنُوبِهِ، يقول : (البسيط)

يَا أَرْحَمَ الخَلْقِ يومَ الحَشْرِ وَالنَّدَمِ ... ارْحَمْ عُبَيدَكَ يَا ذَا الطَّولِ وَالنِّعَمِ
إِنّي تَوَسَّلْتُ بِالمُخْتَارِ مَلْجَأَنَا ... الطَّاهِرِ المُجْتَبَى مِنْ خِيرَةِ الأُمَمِ
إِلَيكَ مِنْ سَيِّئَاتِي إِنَّهَا عَظُمَتْ ... يَا وَاحِدًا لَمْ يَزَلْ فَرْدًا وَلَمْ يَقُمِ [٢٣٠]

ويَتَوَجَّه **ابن جابر** بالخطاب مُبَاشَرَةً إلى الرسول (ﷺ) يَطْلُبُ شَفَاعَتَهُ، يقول : (البسيط)

يَا سَيِّدَ الرُّسْلِ، عَبْدٌ قَدْ أَتَى وَلَهُ مِنْ سَالِفِ الذَّنْبِ تَخْوِيفٌ وَتَخْجِيلُ
يَرْجُو شَفَاعَتَكَ العُظْمَى إِذَا اشْتَعَلَتْ نَارٌ عَلَى مَنْ عَصَى مِنْهَا سَرَابِيلُ(٢٣١)

يعترف بذنوبه وتقصيره، ويرجو شفاعة المُصْطَفَى، المَبْعُوث لِلنَّاسِ رَحْمَةً، ولَولا شَفَاعَتُهُ لَمْ يَنْجُ العُصَاةُ مِنْ لَهَبِ الجَحِيم ؛ لأَنَّهُ عندما يُدْعَى للشفاعةِ يوم القيامة يقول : أنا لَهَا، في الوقت الذي يَهَابُهَا سَائِرُ الأنبياء، يقول : (الكامل)

وَأَقُولُ : يَا خَيرَ البَرِيَّةِ مُذْنِبٌ لَعِبَتْ بِهِ الآمَالُ وَالأَهْوَاءُ
وَأَتَاكَ يَسْأَلُ مِنْكَ حُسْنَ شَفَاعَةٍ وَفُؤَادُهُ خَوفَ الذُّنُوبِ هَوَاءُ
صَغُرَتْ كِبَارُ ذُنُوبِهِ لَمَّا أَتَى وَلِعِظْمِ جَاهِكَ تَصْغُرُ الأَشْيَاءُ (٢٣٢)

ويَتَوَسَّلُ **عبد الكريم القَيسِيّ** بجاه النبي شَفِيعِ المُذْنِبِينَ (ﷺ) إلى الله تعالى ؛ كي يمحوَ عنه ثِقْل الأوزار، ويَغْفِرَ السَّيِّئَات، يقول : (الكامل)

أَنْتَ العَظِيمُ لَدَى الإِلاهِ شَفَاعَةً وَأَجلُّ مَخْلُوقٍ عَلا مِقْدَارَا
مَا لِي إِلَى رَبِّي سِوَاكَ وَسِيلَةٌ أَرْجُو بِهَا أَنْ تَمْحُوَ الأَوزَارَا (٢٣٣)

حَرَصَ شُعَرَاءُ المَدِيح النَّبَوِيّ في الأندلس على التشفُّع برسول الله (ﷺ) والاستجارة به، والتوسُّل إلى الله بِجَاهِهِ وحُبِّه ؛ لتحقيق سعادة الدنيا والآخرة، عن طريق العفو وغُفْرَان الذنوب ؛ فهو النَّبِيُّ المُرْتَجَى، الذي تُفْزَعُ إليه الناسُ في الشَّدَائِدِ ؛ لِعِلْمِهِمْ أَنَّ كَرَمَه (ﷺ) سيمحو – لا شك – الذَّنبَ الفَاضِحَ .

ب) حُبُّ الرَّسُولِ (ﷺ) :

تتعلق أفئدة جميع المسلمين بِحُبِّ الرسولِ (ﷺ)، وتَدْفَعُهُمْ نَحْوَهُ عاطفة صادقة جارفة، وليس ذلك بغريبٍ ؛ لأَنَّه مَلجَأٌ لِمَنْ عَصَى، وطبيبٌ لِدَاءِ الذنوب، وهدايةٌ للناس، وشفاءٌ لأسقامهم، وفَضْله لا يُنْكَر، يقول **ابن الصباغ :** (الطويل)

بِحُبِّ رَسُولِ اللهِ طَابَ نَعِيمُنَا وَطِبْنَا، وَلا نَخْشَى بِهِ أَبَدًا شَقَا (٢٣٤)

ويَتَوَسَّلُ بِحُبِّ الرسول والصحابة إلى الله (ﷻ) أَنْ يَغْفِرَ لَهُ ذُنُوبَهُ، ويَعْفُوَ عَنْهُ، يقول : (الطويل)

وَلُذْ بِالنَّبِيِّ الهَاشِمِيِّ وَحُبِّهِ وَحُبِّ أَبِي حَفْصٍ وَحُبِّ أَبِي بَكْرِ
وَبَاقِي الصِّحَابِ الغُرِّ مِنْ آلِ هَاشِمٍ ذَوِي العِزِّ وَالعَلْيَاءِ وَالمَجْدِ وَالفَخْرِ
أَيَا رَبِّ وَانْفَعَنَا بِحُبِّ جَمِيعِهِمْ وَشَفِّعْهُمُ فِيمَا اقْتَرَفْنَاهُ مِنْ وِزْرِ (٢٣٥)

ويقول **ابن جابر** إِنَّ دَوَاءَ ذُنُوبِهِ، التي تُشْبِهُ الجِبَالَ في ضَخَامَتِهَا وثِقَلِهَا، في زيارة المدينة المنورة، والسير على تُرَابِها، والقُرْب من الحبيب (ﷺ)؛ فهو المُخَلِّصُ من الذنوب، والماحي لها، ومَحَبَّتُهُ تَقُودُ إِلَى رِضَا الله (ﷻ) : (الطويل)

وَإِنْ قَصُرَتْ نَفْسِي وَلَمْ أَبْلُغِ المُنَى فَتِلْكَ ذُنُوبٌ قَدْ مَلَكْنَ زِمَامِي
دَوَاءُ ذُنُوبِي فِي دَوَامِي عَلَى السُّرَى وَلَو أَنَّ أَخْفَافَ المَطِيِّ دَوَامِي
إِذَا حَمِيَتْ نَارُ الجَحِيمِ فَمَا لَنَا سِوَى جَاهِهِ العَالِي هُنَالِكَ حَامِي (٢٣٦)

إِنَّ حُبَّ الرسول مَنْجَاةٌ من النار، التي تستحي أن تَمَسَّ جَسَدًا أَحَبَّهُ (ﷺ)، يقول : (الوافر)

أُحِبُّ مُحَمَّدًا، وَبِذَاكَ أَنْجُو وَأَرْجُو مِنْ ذُنُوبِيَ أَنْ أُجَارَا (٢٣٧)

ويَتَحَسَّرُ الفَقِيهُ الكَاتِبُ **أبو زكريا يَحْيَى بْن خَلْدُون** (ت٧٨٠هـ) على كثرة الذنوب، ويُصَرِّحُ بأنه يرجو غُفْرَانَها بِحَقِّ حُبِّ خير الورى، يقول : (الخفيف)

أَيُّ مَسْرًى حَمِدْتُ لَمْ أَخْلُ مِنْهُ بِسِوَى حَسْرَةٍ وَطُولِ افْتِضَاحِ
وَاخَسَارِي يَومَ القِيَامَةِ إِنْ لَمْ يَغْفِرِ اللهُ زَلَّتِي وَاجْتِرَاحِي
لَمْ أُقَدِّمْ وَسِيلَةً فِيهِ إِلاَّ حُبَّ خَيرِ الوَرَى الشَّفِيعِ المَاحِي
يَا إِلَهِي بِحَقِّ أَحْمَدَ عَفْوًا عَنْ ذُنُوبٍ جَنَيتُهُنَّ قِبَاحِ (٢٣٨)

ويقول **ابن زمرك** في إحدى المُوَلَّدِيَّات : (البسيط)

يَا سَيِّدَ الرُّسْلِ يَا نِعْمَ الشَّفِيعُ إِذَا طَالَ الوُقُوفُ وَحَرَّ الشَّمْسِ قَدْ لَفَحَا
عَسَاكَ يَا خَيرَ مَنْ تُرْجَى وَسَائِلُهُ تُنْجِي غَرِيقًا بِبَحْرِ الذَّنْبِ قَدْ سَبَحَا

مَا زَالَ مُعْتَرِفًا بِالذَّنْبِ مُعْتَذِرًا لَعَلَّ حُبَّكَ يَمْحُو كُلَّ مَا اجْتَرَحَا (٢٣٩)

طَلَبَ شُعَرَاءُ الأندلس من الرسول (ﷺ) – بجاهه الرفيع – أنْ يَشْفَعَ لَهم يوم القيامة في ذنوبهم، ووسيلتهم – إلى هذه الشفاعة – حُبُّه الذي سَرَى فِي قُلُوبِهِمْ، وامتزج بِدِمَائِهِمْ .

ج) مَدْحُ الرَّسُولِ (ﷺ) :

رَجَا شُعَرَاءُ الأَنْدَلُسِ بِمَدْحِ الرَّسُولِ غُفْرَان الذُّنُوب ودُخُول الجَنَّة، ولا يخشى القائلونَ في المديح النبوي تَكْرَار المعاني المتشابهة ؛ لكونها تَتَعَلَّقُ بأوصاف النبي (ﷺ) .

وسبيلُ غُفْرَانِ الذنوبِ سَمَاعُ المَدَائِح النَّبَوِيَّة، التي تُبَلِّغُ المأمول، وتشفي السَّقَم، وتُبْعِدُ شَتَّى الوساوس، وتُذْهِبُ الهَمَّ، وتَكْشِفُ الكُرَبَ، يقول **ابن الصباغ** : (الكامل)

لَمْ يُلْفِ فِيمَا يَرْتَجِيهِ مُؤَمَّلاً يَشْفِي السَّقَامَ، وَيَطْرُدُ الأَفْكَارَا
إلاَّ امْتِدَاحَ الهَاشِمِيِّ وَصَحْبِهِ فَبِذَاكَ يَجْنِي لِلسُّعُودِ ثِمَارَا (٢٤٠)

ومَنْ أراد الفوز في الآخرة فعليه أن يَشْغَلَ نَفْسَهُ بمدح النبي، بِوَصْفِهِ سبيلَ النجاة، يقول : (الطويل)

لَعَلَّكَ لِي فِي الحَشْرِ تَشْفَعُ إِنَّنِي بِمَدْحِكَ قَدْ أَصْبَحْتُ لِلعَفْوِ طَالِبَا(٢٤١)

خَالَفَ الشَّاعِرُ نَسَقَ الكلام وترتيبه في الشطر الأول من البيت، وأصل الكلام : (لَعَلَّكَ تَشْفَعُ لِي فِي الحَشْرِ)، وقَدَّم شِبْه الجُمْلَة (لي) المُشْتَمِل على ضمير يعود عليه ؛ لإفادة التخصيص، ثُمَّ أراد تحديد الزمان المُخَصَّص لِهَذِهِ الشَّفَاعَة وهو يوم القيامة ؛ فقال : (في الحشر)، ولا يخفى ما حَقَّقَهُ ذلك التقديم والتأخير من جمال بلاغي .

ويجعلُ **ابنُ الخطيب** مَدْحَ المُصْطَفَى وسيلةً للخُلُودِ في دَارِ النَّعِيمِ، يقول : (الكامل)

يَا مُصْطَفَى الرَّحْمَانِ، وَالنُّورُ الذِي أَخْفَى الضَّلالَ، وَأَظْهَرَ التَّوحِيدَا
أَعْلَقْتُ كَفِّي مِنْكَ حَبْلَ مَوَدَّتِي لا وَاهِنًا خَلَقًا وَلا مَجْدُودَا

وَجَعَلْتُ مَدْحَكَ لِلإلاهِ وَسِيلَتِي فَشَرِبْتُ فِي دَارِ النَّعِيمِ خُلُودَا (٢٤٢)

ويريدُ **ابنُ جابر** أن يرتدي بُرْدَةَ الغُفْرَانِ، ويَخْلَعَ رداء الذَّنْبِ، يقول : (الطويل)

وَيَا مَنْ يَلُوذُ المُذْنِبِينَ بِجَاهِهِ فَيَشْفَعُ فِي إِنْقَاذِهِمْ فَيُشَفَّعُ
أَجِبْنِي أَجِرْنِي مِنْ ذُنُوبٍ عَمِلْتُهَا فَقَلْبِيَ مَوجُوعٍ لَهُنَّ مُرَوَّعُ
وَإِنِّي أَرَى أَرْجَى الوَسَائِلِ كُلَّهَا مَدَائِحُ فِي ذَاكَ الجَنَابِ تُنَوَّعُ
عَسَى بُرْدَةَ الغُفْرَانِ تُخْلَعُ عِنْدَهَا عَلَيَّ وَبُرْدُ الذَّنْبِ عَنِّيَ يُخْلَعُ
لَقَدْ ضَاقَ ذَرْعِي بِالذُّنُوبِ وَهَولِهَا وَلَكِنَّ بَابَ العَفْوِ بَابٌ مُوَسَّعُ (٢٤٣)

واللِّسَانُ الذي نَطَقَ بِمَدْحِ الرَّسُولِ لا تَمَسَّهُ النَّارُ، يقول : (الطويل)

يَجُلُّ لِسَانٌ صَاغَ مَدْحَكَ أَنَّهُ يُرَاعُ بِنَارٍ، أَو يُهَانُ بِهَا حَرْقَا (٢٤٤)

إنَّ مَدْح الرسول الكريم (ﷺ) يَضْمَنُ لشعراء الأندلس النجاةَ من شُؤْمِ الذنوب، ونَيلَ سَعَادَةٍ غامرة لا يَشُوبَها شَقَاءٌ، ومَهْمَا تَفَنَّنَ الوَاصِفُونَ في مدحه (ﷺ) ؛ فقد اعترفوا بعجزهم عن إيفائه حقه ؛ لعظيم فَضْلِهِ، وسُمُوِّ قَدْرِهِ .

الخاتمة ونتائج البحث

إِنَّ الشُّعُورَ بِالذَّنْبِ من المشاعر النفسيَّة التي يَمُرُّ بها الفَرْدُ خلال حياته، وتنتج من قِيَامِهِ بِمُخَالَفَةِ أوامر الشَّرْع الحنيف، والتعبير عنه يَأْخُذ صُوَرًا مُتَعَدِّدَة، منها : الإحساس بالخوف، والحُزْن، والخِزْي، والندم، وله آثار كثيرة في صحة الفرد النفسيَّة والجسميَّة .

وقد أَنَّ شُعَرَاءُ الأَنْدَلُسِ تحت وَطْأَةِ الشُّعُورِ بِالذَّنْبِ ؛ لأَنَّ حَمْلَ الذَّنْبِ ثقيلٌ يَنُوءُ به الظَّهْر، وتَضِيقُ به النَّفْسُ ؛ فتَجْأَر بالشَّكْوَى .

وقد تَجَلَّى الشُّعُورُ بِوَطْأَةِ الذُّنُوبِ في قصائد المديح النبويّ الأندلسيَّة على نحوٍ خاص، ثُمَّ في قصائد الزهد، ورِثَاء النفس .

لقد جَعَلَ شعراءُ الأندلسِ عِبْءَ الذنوبِ مجالاً للتفكُّر في حقيقة الحياة، ورَصَدُوا سَنَوَاتِ العُمْرِ، وتَحَسَّرُوا عَلَى ذَهَابِ الشَّبَابِ، وانْتَظَرُوا قُدُومَ المَوتِ .

وعَبَّرَوا عن (الذُّنُوب) بألفاظ مُتَعَدِّدَة، والمُرَاد واحد، منها : (العِلَل – العَائِقَات – الضَّعْف – الأوزار – القُيُود – العِقَال – الأثقال – الجَهْل – العُيُوب – الهُمُوم – الشَّدَائِد – الخُطُوب– هَلاك النُّفُوس)، وأسندوها إلى : (التسويف، والتفريط، والتَّقَاعُس، والغَفْلَة، والمِطال، والتأخير، واتباع الهوى، والحُمْق، والتَّوَاني، والتَّصَابي، والتقصير) .

وشَبَّهُوا الذُّنُوبَ بِالجِبَال في الضخامة والثِّقَل، وبالنجوم في الكَثْرَة، والاستعصاء على العَدِّ ؛ لأنها كَاثَرَتْ عَدَدَ الرَّمْلِ والحَصَى والتُّرابِ، وبالخمر التي تُسْكِر المُذْنِبَ صباح مَسَاء، وبالحديد الذي مِنْ طبيعته أَنْ يَلْتَصِقَ بِالمِغْنَطِيس (النفس)، ولا يَتْرُكُه .

وجعلوا الذُّنُوبَ داءً يُشْتَكَى مِنْهُ، ضَرَرُه فِي الْقَلْبِ كَضَرَرِ السُّمُومِ فِي الأَبْدَانِ، وإظلامُهُ لا يَنْجَلِي، بِوَصْفِهِ قيدًا مُحْكَمًا يُقَيِّدُ المُذْنِبَ بِسَلاسِل ثَقِيلة، تُؤْلِمُهُ وتُزْعِجُهُ، وتَقُضُّ عليه مَضْجَعه، وتُنَغِّص عَيشَه، ولا يستطيعُ الخلاصَ منها إلا بالتوبة .

لقد اعترف شعراء الأندلس بأنَّ مَنْ يُخَالِفْ تَقَوى الله، ويرتكبْ الذنوب؛ لا بُدَّ مِنْ أَنْ يَنْزِلَ به العِقَابُ، وقد استشرفوا آفاق المستقبل، وتَنَبَّئُوا بسُقُوط الأندلس ؛ لإصرار مُلُوكِهَا على الذُّنُوب .

إنَّ الذُّنُوبَ دَاءٌ عُضَال فَتَك بالأُمَّة الإسلاميَّة في الأندلس، وذَهَبَ بِقُوَّتِهِا ؛ فانهزمت بعد التَّنَازُع .

ومن أسباب الوقوع في الذَّنْبِ: الغَفْلَةُ عَنْ ذِكْرِ اللهِ (ﷻ)، وحُبُّ الدُّنْيَا، والمُجُونُ زمن الشَّبَاب، ومَكَائِدُ الشَّيطَانِ، وهَفَوَاتُ اللِّسَانِ، وشُرْبُ الخَمْرِ.

ومن آثَارُ الوُقُوعِ فِي الذَّنْبِ: نُزُول النِّقَمِ، ومَنْع زِيَارَةِ الأَمَاكِنِ المُبَارَكَة.

ومن وَسَائِلُ تَخْفِيفِ مُسْتَوَى الشُّعُورِ بِالذَّنْبِ، التي تُؤَدِّي إلى تهدئة القلق، والشعور بالأمن النفسي، وتحقيق قدر أكبر من تَقَبُّلِ الذَّات، وإعادة الثقة بالنفس : التَّوبَةُ النَّصُوحُ، والتَّقْوَى، والتوسُّل بالرسول (ﷺ)، وبذلك يُعْتَقُ المَرْءُ مِنْ رِبْقَةِ الذَّنْبِ .

وقد أثبت البحثُ أَنَّ مَا نَزَل بالأندلس وأهلِها مِنْ بَلاءٍ ومِحَنٍ رَاجِعٌ إلى اقْتِرَافِ الذُّنُوبِ .

وما زال الشُّعُورُ بِالذَّنْبِ في الشعر الأندلسيّ يُغْرِي بمَزِيدٍ من البحث والتعمُّق، وأقترحُ موضوع بحث عن (التَّبَرُّؤ مِنَ الذَّنْبِ فِي شِعْرِ الغَزَلِ الأَنْدَلُسِيِّ)، وهو جَانِبٌ لم يُدْرَس في شِعْر الغزل الأَنْدَلُسِيّ .

الحواشي

(1) Gem, T, L &Scherer, K.R (1998): Relating situation evaluation to emotion differentiation ,1998 , p 77 .

(٢) الغزال : شعر يحيى بن حكم الغَزَال ، جمع وتوثيق ودراسة علي الغريب محمد الشناوي ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٤م ، ص ١٥٠ .

(٣) السُّمَيسِر : ديوان السميسر ، ضمن كتاب (شعراء أندلسيون منسيون) ، فوزي عيسى ، من تراثنا الشعري (٩) ، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري ، الكويت ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، الإسكندرية ، ط١٠ ، ٢٠٠٩م ، ص ٢٥٨ .

(٤) انظر : ابن بسام : الذَّخِيرَة في محاسن أهل الجَزِيرَة ، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ط١ ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ، ٧٦١/٢/١ .

(٥) ابن محمد المالكي : رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم ، تحقيق بشير البكوش ، مراجعة محمد العروسي المطوي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط٢ ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤م ، ٢٧٦/٢ .

(٦) الضَّبِيّ : بُغْيَة المُلْتَمِس في تاريخ رجال أهل الأندلس ، المكتبة الأندلسية (١٤) ، تحقيق إبراهيم الإبياري ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م ، ٥٥٦/٢ .

(٧) انظر : دانيا الشبؤون : الشعور بالذنب وعلاقته بالشعور بالخزي عند المراهقين ؛ دراسة ميدانية لدى تلاميذ الصف التاسع من التعليم الأساسي في مدارس مدينة دمشق الرسمية ، مجلة جامعة دمشق ، دمشق ، المجلد (٢٧) ، ملحق ٢٠١١م ، ص٦٥ .

(٨) جميل صليبا : المعجم الفلسفي ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، لبنان ، مكتبة المدرسة ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٩٨٢م ، ٥٩٢/١ .

(٩) انظر : حسان محمد عبد العزيز : الشعور بالذنب وعلاقته باضطراب الشخصية الوسواسية القهرية ؛ دراسة ميدانية على عينة من العاملين في مجال الدعم النفسي والخدمة الاجتماعية في مدينة حمص عام ٢٠١٦م ، مجلة جامعة البعث ، حمص ، سورية ، المجلد (٨٣) ، العدد (١٥) ، ٢٠١٦م ، ص ١٢١ .

(١٠) انظر : أحمد عزت راجح : الأمراض النفسية والعقلية ؛ أسبابها وعلاجها وآثارها الاجتماعية ، دار المعارف ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٦٤م ، ص١٨٨ .

(١١) انظر : حسن مصطفى عبد المعطي ، هدى محمد قناوي : علم نفس النمو ، دار قباء للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ٢٠٠١م ، ٣٧٨/٢ .

(١٢) انظر فرويد : الأَنَا والهُوَ ، ترجمة محمد عثمان نجاتي ، دار الشروق ، بيروت ، ط٤ ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م ، ص ٨٢ .

(١٣) جان لابلانش وج . ب . بونتاليس : معجم مصطلحات التحليل النفسي ، ترجمة مصطفى حجازي ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط٢ منقحة ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ، ص ٢٩٣ .

(١٤) انظر : فرويد : الكَفّ والعَرَض والقَلَق ، ترجمة محمد عثمان نجاتي ، دار الشروق ، القاهرة ، ط٤ ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م ، ص ١٠٢ – ١١٩ .

(15) Miceli, Maria, Cristiano, Castelfranch : How to Silence On’es Conscience: Cognitive Defenses Against the feeling of Guilt, Journal for the Theory of Social Behaviours,1998,Vol.28,Serial No.3, p 291.

(16) Sigmund Freud , Malaise dans la civilisation, Trad , 1929, p 65.

(17) O'conner, A. : Inter personal Guilt - the development of a new measure, Journal of clinical psychology , 1997 .

(١٨) حسن مصطفى عبد المعطي ، هدى محمد قناوي : علم نفس النمو ، ٤٣٢/١ .

(19)Miller, Susan : The Shame Experience, Printed in the United State of America, Published in Hillsadale, New Jersey, By The analytic Press,1993, p 11 .

(٢٠) انظر : مجموعة مؤلفين : نَظَرِيَّات التَّعَلُّم ؛ دراسة مقارنة ، ترجمة علي حسين حجاج ، مراجعة عطية محمود هنا ، سلسلة عالم المعرفة (١٠٨) ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، ديسمبر ١٩٨٦م ، ١٣١/٢ – ١٧٩ .

(٢١) انظر : ريتشارد لازاروس : الشخصية ، ترجمة سيد محمد غنيم ومحمد عثمان نجاتي ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، بغداد ، ١٩٨١م ، ص ٢٠٩ .

(٢٢) انظر : زينب سليم متولى حسن : دراسة بعض المتغيرات المرتبطة بالأمن النفسي لدي أطفال ما قبل المدرسة ، رسالة ماجستير ، معهد الدراسات العليا للطفولة ، جامعة عين شمس ، ١٩٩٨م ، ص ٢٧ .

(٢٣) حسن مصطفى عبد المعطي ، هدى محمد قناوي : علم نفس النمو ، ٣٣٣/١ .

(٢٤) انظر : عادل عبد الله : اتجاهات نظرية في سيكولوجية نمو الطفل والمراهق ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٩١م ، ص ١٣٢ ، ١٩٠ .

(٢٥) انظر : قاسم حسين صالح : الشعور بالذنب وعلاقته بالأمراض النفسجسمية ، مجلة الإنسان والمجتمع ، الجمعية النفسية العراقية ، الجمهورية العراقية ، العدد (٢٠٥) ، ٢٠٠٤م ، ص ١٠.

(٢٦) ابن قيم الجوزية : الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ، أو الداء والدواء ، خَرَّجَ أَحَادِيثه وحَقَّقَهَا عمرو عبد المنعم سليم ، مكتبة ابن تَيمِيَّة ، القاهرة ، مكتبة العِلْم ، جدة ، ط١ ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م ،ص ١٣٤ .

(٢٧) أبو إسحاق الإلبيري : ديوان أبي إسحاق الإلبيري ، حققه وشرحه واستدرك فائته محمد رضوان الداية ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، لبنان ، دار الفكر، دمشق ، سورية ، ط١ ،١٤١١هـ - ١٩٩١م ، ص ٧٩ .

(٢٨) المقَّرِيّ : نَفْح الطِّيب مِنْ غُصْنِ الأَنْدَلُسِ الرَّطِيبِ ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م ، ٢٩/٤ .

(٢٩) أبو الربيع سُليمَان المُوحِّدِي : ديوان الأمير أبي الربيع سليمان بن عبد الله الموحدي ، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي وآخرون ، منشورات كلية الآداب ، جامعة محمد الخامس ، تطوان ، المغرب ، د . ت ، ص ١٥٢ .

(٣٠) ابْن الصَّبَّاغ : ديوان ابن الصَّبَّاغ الجُذَامِيّ ، تحقيق محمد زكريا عنانى وأنور السنوسى ، دار الأمين للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٩م ، ص ٣٠ .

(٣١) القاضي عياض : الغُنْيَة ؛ فهرست شُيُوخ القَاضِي عِيَاض ، تحقيق ماهر زُهِير جَرَّار ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م ، ص ٨٧ .

(٣٢) ابن سارة الأندلسي : ابن سارة الأندلسي ؛ حياته وشعره ، مصطفى عوض الكريم ، مطبعة مصر ، السودان ، ١٩٨٥م ، ص ٨١ .

(٣٣) الأعمى التطيليّ : ديوان الأعمى التطيلي ، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م ، ص ٨ .

(٣٤) ابن الأَبَّار : التَّكْمِلَة لِكِتَاب الصِّلَة ، تحقيق عبد السلام الهراس ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م ، ١٠٣/١ .

(٣٥) ابن الخَطِيب : الإِحَاطَةُ فِي أَخْبَارِ غَرْنَاطَة ، شرحه وضبطه وقَدَّمَ له يوسف علي طويل ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م ، ٤١٩/٣ .

(٣٦) مالك بن المُرَحِّل : مالك بن المُرَحِّل ؛ أديب العُدْوَتَينِ ؛ دراسة تحليلية في أخباره وآثاره ، وتحقيق نصوصه الأدبية الباقية ، تحقيق محمد مسعود جبران ، المجمع الثقافي ، أبو ظبي ، الإمارات العربية المتحدة ، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م ، ص ٣٥٩ .

(٣٧) ابن الخَطِيب : الكَتِيبَة الكَامِنَة فِي مَنْ لَقِينَاُه بِالأَنْدَلُس مِنْ شُعَرَاءِ المِائَة الثَّامِنَة ، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٣م ، ص ١٧٢ .

(٣٨) الدباغ : معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ، أكمله وعَلَّقَ عليه أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن ناجي التَّنُّوخِيّ ، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور ، محمد ماضور ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، المكتبة العتيقة ، تونس ، ١٩٧٢م ، ٢٠٥/٢ .

(٣٩) بَكْر بْن حَمَّاد : الدُّرُّ الوَقَّاد مِنْ شِعْرِ بَكْرِ بْن حَمَّاد التاهرتي ، تقديم وجمع وشرح محمد بن رمضان شاوش ، المطبعة العلوية ، مستغانم ، الجزائر ، ط١ ، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م ، ص ٧٨ .

(٤٠) ابن حزم الأَنْدَلُسِيّ : طَوق الحَمَامة في الألفة والألاف ، مكتبة عرفة ، دمشق ، ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١م ، ص ١٤٧ – ١٤٨ .

(٤١) أبو إسحاق الإلبيري : ديوان أبي إسحاق الإلبيري ، ص ٦١ .

(٤٢) المقَّرِيّ : نَفْح الطِّيب ، ٢٩/٤ .

(٤٣) القاضي عياض : الغُنْيَة ، ص ٨٧ .

(٤٤) ابن حمديس : ديوان ابن حمديس ، صححه وقدم له إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م ، ص ٢٨١ .

(٤٥) ابن حمديس : ديوان ابن حمديس ، ص ٤١ .

(٤٦) ابن عسكر وابن خميس : أعلام مَالَقَة ، تقديم وتخريج وتعليق عبد الله المرابط الترغي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، دار الأمان للنشر والتوزيع ، زنقة المامونية ، الرباط ، ط١ ، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م ، ص ٣٧٤ .

(٤٧) المقَّرِيّ : نَفْح الطِّيب ، ٣٤٨/٤ - ٣٤٩ .

(٤٨) الغزال : شعر يحيى بن حكم الغَزَال ، ص ٢٣٠ .

(٤٩) ابن خفاجة : ديوان ابن خفاجة ، تحقيق السيد مصطفى غازي ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م ، ص ٣٥٥ .

(٥٠) المصدر السابق ، ص ١٦٢ .

(٥١) لم يرد البيت في ديوان أبي حيان الأندلسي . انظر : أبو حَيَّان الأندلسيّ : ديوان أبي حَيَّان الأندلسيّ ، تحقيق أحمد مطلوب وخديجة الحديثي ، مطبعة العاني ، بغداد ، ط١ ، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م .الصَفَدِيّ : الوافي بالوَفَيَات ، تحقيق واعتناء أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م ، ١٤١/٩ .

(٥٢) العِمَاد الأَصْفَهَانِيّ : خَرِيدَة القَصْر وجَرِيدَة العَصْر ، قسم شعراء المغرب ، تحقيق محمد المرزوقي ومحمد العروسي المطوي والجيلاني بن الحاج يحيى ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، ط٣ ، ١٩٨٦م ، ٦٤/١ – ٦٥ .

(٥٣) المقَّرِيّ : نَفْح الطِّيب ، ٦٠٠/٢ .

(٥٤) الرصافي البلنسي : ديوان الرصافي البلنسي ، جمعه وقَدَّمَ له إحسان عباس ، الشعر ديوان العرب (٣) ، دار الشروق ، بيروت ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ، ص ١٠٥ .

(٥٥) ابن عِذَارِي المَرَّاكُشِيّ : البَيَان المُغْرِب فِي أخبار الأندلس والمَغْرِب ، قسم الموحدين ، تحقيق محمد إبراهيم الكتـاني ومحمد بن تاويت ومحمد زنيبر وعبد القادر زمامة ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، الدار البيضاء ، ط١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م ، ص ٢٢٢ .

(٥٦) ابن جابر : ديوان المديح النبوي وديوان نَفَائِس المِنَح وعَرَائِس المِدَح ، تحقيق محمد طيب خطاب ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط١ ، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م ، ص ٥٣٦ .

(٥٧) البسطي : ديوان عبد الكريم القيسي الأندلسي ، تحقيق جمعة شيخة ومحمد الهادي الطرابلسي ، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات (بيت الحكمة) ، تونس ، ١٩٨٨م ، ص ١١٠ .

(٥٨) التِّرْمِذِيّ : سُنَن التِّرْمِذِيّ ، تحقيق إبراهيم عطوة عوض ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، ط٢ ، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م ، حَدِيثٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ ، ٣٦٣/٤ .

(٥٩) المصدر السابق ، حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ ، ١٢/٥ .

(٦٠) ابن الأَبَّار : الحُلَّة السِّيَرَاء ، تحقيق حسين مؤنس ، ذخائر العرب (٥٨) ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٨٥م ، ٢٥٣/١ .

(٦١) السُّمَيسِر : ديوان السميسر ، ص ٢٦٣ .

(٦٢) ابن حمديس : ديوان ابن حمديس ، ص ٢٦٦ .

(٦٣) المقَّرِيّ : نَفْح الطِّيب ، ٥٤٩/٥ .

(٦٤) ابن محمد المالكي : رياض النفوس ، ٥٣٩/١ .

(٦٥) ابن الزَّقَّاق البَلَنْسِيّ : ديوان ابن الزَّقَاق البَلَنْسِيّ ، تحقيق عفيفة محمود ديراني ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م ، ص ٢٥٦ .

(٦٦) أبو زيد الفازازي : آثار أبي زيد الفازازي الأندلسي ، نصوص أدبية من القرن الهجري السابع ، جمعها بعض تلاميذه في حياته ، تقديم وتحقيق عبد الحميد عبد الله الهرامة ، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، دمشق ، ط١ ، ١٤١٢ هـ - ١٩٩١م ، ص ٥٨ .

(٦٧) المصدر السابق ، ص ٦٠ .

(٦٨) ابن قيم الجوزية : الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ، ص ١٥٨ .

(٦٩) عبد الرحمن بدوي : الزمان الوجودي ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ١٩٧٣م ، ص ١٧٣ .

(٧٠) ابن حَزْم الأَنْدَلُسِيّ : ديوان الإمام ابن حزم الظاهريّ ، تحقيق صبحي رشاد عبد الكريم ، دار الصحابة للتراث ، طنطا ، ط١ ، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م ، ص٩٦ .

(٧١) أبو إسحاق الإلبيري : ديوان أبي إسحاق الإلبيري ، ص ٢٤ .

(٧٢) القاضي عياض : الغُنْيَة ، ص ٨٦ – ٨٧ .

(٧٣) المقَّرِيّ : نَفْح الطِّيب ، ٣٨٣/٣ .

(٧٤) ابن حمديس : ديوان ابن حمديس ، ص ٣٦٤ .

(٧٥) ابن خفاجة : ديوان ابن خفاجة ، ص ٣٠٩ .

(٧٦) العِمَاد الأَصْفَهَانِيّ : خَرِيدَة القَصْر وجَرِيدَة العَصْر ، قسم شعراء المغرب والأندلس ، تحقيق آذرتاش آذرنوش ، نقحه وزاد عليه محمد المرزوقي ومحمد العروسي المطوي والجيلاني بن الحاج يحيى ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، ط٢ ، ١٩٨٦م ، ٢٦٢/٢ .

(٧٧) ابن دِحْية الكَلْبِيّ : المُطْرِب مِنْ أشعار أهل المغرب ، تحقيق إبراهيم الإبياري وحامد عبد المجيد وأحمد أحمد بدوي ، راجعه طه حسين ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، ١٩٥٤م ، ص ٨٢ .

(٧٨) المقَّرِيّ : نَفْح الطِّيب ، ٦٩٥/٢ .

(٧٩) البسطي : ديوان عبد الكريم القيسي الأندلسي ، ص ٤١١ .
(٨٠) بَكْر بْن حَمَّاد : الدُّرُّ الوَقَّاد مِنْ شِعْرِ بَكْرِ بْن حَمَّاد التاهرتي ، ص ٨٠ .
(٨١) أبو إسحاق الإلبيري : ديوان أبي إسحاق الإلبيري ، ص ٤٩ .
(٨٢) ابن حمديس : ديوان ابن حمديس ، ص ٣٤٧ .
(٨٣) ابْن الصَّبَّاغ : ديوان ابن الصَّبَّاغ الجُذَامِيّ ، ص ٨٩ .
(٨٤) ابن الأَبَّار : تُحْفَة القادم ، أعاد بناءه وعَلَّقَ عليه إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م ، ص ٣٨ .
(٨٥) السّيُوطِيّ : بُغْيَةُ الوُعَاةِ فِي طَبَقَاتِ اللُّغَوِيِينَ وَالنُّحَاة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر ، دمشق ، سورية ، ط٢ ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ،٤١٧/١ .
(٨٦) البسطي : ديوان عبد الكريم القيسي الأندلسي ، ص ٤٦٢ - ٤٦٣ .
(٨٧) الصَفَدِيّ : الوافي بالوَفَيَات ، ٢٨٦/١٧ .
(٨٨) ابن حَزْم الأَنْدَلُسِيّ : ديوان الإمام ابن حزم الظاهريّ ، ص ٩٨ .
(٨٩) ابن حمديس : ديوان ابن حمديس ، ص ٣٤٦ .
(٩٠) أمية بن أبي الصلت الداني : ديوان الحَكِيم أَبِي الصَّلْت أُمَيَّة بْن عَبْد العَزِيز الدَّانِي ، جمع وتحقيق وتقديم محمد المرزوقي ، دار الكتب الشرقية ، تونس ، ١٩٧٤م ، ص ٨٧ .
(٩١) ابن خفاجة : ديوان ابن خفاجة ، ص ٢١٣ – ٢١٤ .
(٩٢) العِمَاد الأَصْفَهَانِيّ : خَرِيدَة القَصْر وجَرِيدَة العَصْر ، ١٠٦/١.
(٩٣) ابن جابر : ديوان المديح النبوي وديوان نَفَائِس المِنَح وعَرَائِس المِدَح ، ص ١٧٢ .
(٩٤) البسطي : ديوان عبد الكريم القيسي الأندلسي ، ص ٣٥٨ .
(٩٥) ابن عبد رَبِّه الأندلسيّ : ديوان ابن عبد ربه ، جمعه وحققه وشرحه محمد رضوان الداية ، المكتبة الأندلسية (١٠) ، دار الفكر ، دمشق ، سورية ، ط٢ ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ، ص ٨٦ .
(٩٦) أبو إسحاق الإلبيري : ديوان أبي إسحاق الإلبيري ، ص ١٠١ - ١٠٢ .
(٩٧) ابن حمديس : ديوان ابن حمديس ، ص ٢٨٣ .
(٩٨) أبو إسحاق الإلبيري : ديوان أبي إسحاق الإلبيري ، ص ٣٧ .
(٩٩) ابن حمديس : ديوان ابن حمديس ، ص ١٠٧ .
(١٠٠) المصدر السابق ، ص ٤١ .
(١٠١) ابن خفاجة : ديوان ابن خفاجة ، ص ٣٥٥ .

(١٠٢) المقَّرِيّ : نَفْح الطِّيب ، ٦٠٠/٢ .

(١٠٣) أبو الربيع سُليمَان المُوحِّدِي : ديوان الأمير أبي الربيع سليمان بن عبد الله الموحدي ، ص ١٥٢ .

(١٠٤) ابْن الصَّبَّاغ : ديوان ابن الصَّبَّاغ الجُذَامِيّ ، ص ٣٦ .

(١٠٥) ابن الجَنَّان الأَنْصَارِيّ : ديوان ابن الجَنَّان الأَنْصَارِيّ الأَنْدَلُسِيّ ؛ شاعر المديح النبوي بالأندلس في القرن السابع الهجري ، جمع وتحقيق ودراسة مُنْجِد مُصْطَفَى بَهْجَت ، كلية الآداب ، جامعة المَوصِل ، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م ، ص ١١٨ .

(١٠٦) انظر : فاطمة تناح : الشعور بالذنب لدى اضطراب الشخصية السيكوباتية ؛ دراسة عيادية لحالة ، مُذَكِّرَة تَخَرُّج لنيل شهادة ماستر ، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية ، جامعة الدكتور الطاهر مولاي ، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية ، ٢٠١٨م ، ص ٢٥ .

(١٠٧) ابن الخَطِيب : الإِحَاطَة ، ١٩٣/١ .

(١٠٨) ابْن الصَّبَّاغ : ديوان ابن الصَّبَّاغ الجُذَامِيّ ، ص ٨٩ .

(١٠٩) ابن جابر : ديوان المديح النبوي وديوان نَفَائِس المِنَح وعَرَائِس المِدَح ، ص ٥٣٦ - ٥٣٧ .

(١١٠) أحمد عزت راجح : أصول علم النفس ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، ط٧ مزيدة منقحة ، ١٩٦٨م ، ص١٧ .

(١١١) ابن عبد رَبِّه الأندلسيّ : ديوان ابن عبد ربه ، ص ١٨٠ .

(١١٢) أبو إسحاق الإلبيري : ديوان أبي إسحاق الإلبيري ، ص ١٣٩ .

(١١٣) القاضي عياض : الغُنْيَة ، ص ٨٦ - ٨٧ .

(١١٤) ابن خَاقَان : قَلَائِدُ العِقْيَانِ وَمَحَاسِنُ الأَعْيَانِ ، حَقَّقَهُ وعَلَّق عليه حسين يُوسُف خريُوش ، مكتبة المنار ، الأردن ، ط١ ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م ، ٢/ ٦٣٧ .

(١١٥) أمية بن أبي الصلت الداني : ديوان الحَكِيم أَبِي الصَّلْت أُمَيَّة بْن عَبْد العَزِيز الدَّانِي ، ص ١١٥ .

(١١٦) أبو الربيع سُليمَان المُوحِّدِي : ديوان الأمير أبي الربيع سليمان بن عبد الله الموحدي ، ص ١٥٤ .

(١١٧) ابن الخَطِيب : دِيوَان لِسَان الدِّين بْن الخَطِيب السَّلْمَانِي ، تحقيق محمد مفتاح ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، ط١ ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م ، ٥٥٤/٢ .

(١١٨) ابن زَمْرَك : ديوان ابن زَمْرَك الأندلسي ، تحقيق محمد توفيق النيفر ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م ، ص ٥٥٧ .

(١١٩) ابن قيم الجوزية : الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ، ص ١٧٩ .

(١٢٠) ابن حنبل : مسند الإمام أحمد بن حنبل ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، عادل مرشد ، وآخرون ، إشراف عبد الله بن عبد المحسن التركي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م ، حديث مرسل ، ٣٩٢/٣٦ - ٣٩٣ .

(١٢١) أبو نعيم الأصفهاني : حُلْيَة الأَولِيَاء وطَبَقَات الأَصْفِيَاء ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م ، رواه أبو نعيم بسند صحيح ، ٣٢٤/١ .

(١٢٢) أبو إسحاق الإلبيري : ديوان أبي إسحاق الإلبيري ، ص ٨١ .

(١٢٣) المصدر السابق ، ص ٥٢ .

(١٢٤) حَازِم القَرْطَاجَنِّيّ : ديوان حازم القرطاجني ، تحقيق عُثْمَان الكَعَّاك ، المكتبة الأندلسية (٩) ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ١٩٦٤م ، ص ٩٦ .

(١٢٥) ابن القاضي المِكْنَاسِي : جُذْوَة الاقْتِبَاسِ فِي ذِكْرِ مَنْ حَلَّ مِنَ الأَعْلامِ مَدِينَة فَاس ، دار المنصور للطباعة والوراقة ، الرباط ، ١٩٧٣م ، ١٩٢/١ .

(١٢٦) المقَّرِيّ : نَفْح الطِّيب ، ٥٥٥/٥ .

(١٢٧) ابن قيم الجوزية : الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ، ص ١٤٢ .

(١٢٨) ابن بسام : الذخيرة ، ٢٥٦/١/٢ ــ ٢٥٧ .

(١٢٩) أبو إسحاق الإلبيري : ديوان أبي إسحاق الإلبيري ، ص ٨٨ .

(١٣٠) انظر : ابن بَسَّام : الذَّخِيرَة ، ١٧٣/١/٣ ، ١٧٩ - ١٩٠ . ابن عِذَارِي : البَيَان المُغْرِب فِي أخبار الأندلس والمَغْرِب ، تحقيق ومراجعة ج . س . كولان وإ. ليڤي پروڤنسال ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ط٥ ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م ، ٢٢٥/٣- ٢٢٨ . ابن الخَطِيب : تاريخ إسبانيا الإسلامية أو كتاب أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام ، تحقيق وتعليق ليفي بروفنسال ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ط١ ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م ، ص١٧١. المقَّرِيّ : نَفْح الطِّيب ، ٤/ ٤٤٩- ٤٥٤ .

(١٣١) ابن بَسَّام : الذَّخِيرَة ، ٩٢/١/٢ - ٩٣ .

(١٣٢) المصدر السابق ، ١٧٨/١/٣ .

(١٣٣) الحِمْيَرِيّ : الرَّوض المِعْطَار فِي خَبَرِ الأَقْطَارِ ، تحقيق إحسان عباس ، مؤسسة ناصر الثقافية ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٠م ، ص ٩١ .

(١٣٤) المقَّرِيّ : نَفْح الطِّيب ، ٤٨٣/٤ .

(١٣٥) المصدر السابق ، ٤٨٤/٤.

(١٣٦) هنرى بيريس : الشعر الأندلسي في عصر الطوائف ؛ ملامحه العامة وموضوعاته الرئيسية وقيمته التوثيقية ، ترجمة الطاهر أحمد مكي ، دار المعارف ، القاهرة ، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م ، ص١٠٨.

(١٣٧) ابن حمديس : ديوان ابن حمديس ، ص ١٨٣ .

(١٣٨) المقَّرِيّ : نَفْح الطِّيب ، ٣٠٦/١ .

(١٣٩) ابن عذارى المراكشي : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، قسم الموحدين ، ص ٣٨١.

(١٤٠) ابن عبد الملك الأنصاريّ : السِّفْر الخَامِس مِنْ كِتَابِ الذَّيلِ والتَّكْمِلَة لكتابي الموصول والصلة ، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ١٩٦٥م ، ق ١ ، ص ٣١ .

(١٤١) ابن عِذَارِي المَرَّاكُشِيّ : البَيَان المُغْرِب فِي أخبار الأندلس والمَغْرِب ، قسم الموحدين ، ص ٣٢٩ .

(١٤٢) المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

(١٤٣) ابن قيم الجوزية : الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ، ص ١٣٣ .

(١٤٤) انظر : ابن خَاقَان : مَطْمَح الأَنْفُس وَمَسْرَح التَّأَنُّس فِي مُلَح أَهْلِ الأَنْدَلُس ، دراسة وتحقيق محمد على شوابكة ، منشورات دار عمار ومؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م ، ص ٢٥٠ – ٢٥١ . ابن عِذَارِي : البَيَان المُغْرِب ، ١٩٩/٢ .

(١٤٥) ابن رشيق القيرواني : ديوان ابن رَشِيق القَيرَوَانِيّ ، جمعه ورَتَّبَهُ عبد الرحمن ياغي ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م ، ص ٦٩ .

(١٤٦) البسطي : ديوان عبد الكريم القيسي الأندلسي ، ص ٤٥٣ .

(١٤٧) ابن رشيق القيرواني : ديوان ابن رَشِيق القَيرَوَانِيّ ، ص ١٩٤ – ١٩٥ .

(١٤٨) ابن الأَبَّار : الحُلَّة ، ٢٨٤/٢ .

(١٤٩) ابن الخَطِيب : الإحاطة ، ٤٣٢/٣ .

(١٥٠) ابْن الصَّبَّاغ : ديوان ابن الصَّبَّاغ الجُذَامِيّ ، ص ٧٣ .

(١٥١) المصدر السابق ، ص ٦٦ .

(١٥٢) المصدر نفسه ، ص ٩١ .

(١٥٣) ابن الخَطِيب : الإِحَاطَة ، ٦/٣ .
(١٥٤) ابن الخَطِيب : دِيوَان لِسَان الدِّين بْن الخَطِيب السَّلْمَانِي ، ٣٥٥/١ .
(١٥٥) ابن جابر : ديوان المديح النبوي وديوان نَفَائِس المِنَح وعَرَائِس المِدَح ، ص ٤٣٠ .
(١٥٦) ابن فُرْكُون : ديوان ابن فُرْكُون ، تقديم وتعليق محمد بن شريفة ، سلسلة التراث ، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية ، الرباط ، ط١ ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ، ص ٣٢٣ .
(١٥٧) ابن قيم الجوزية : الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ، ص ١٨٤ .
(١٥٨) القشيري : الرسالة القشيرية ، تحقيق عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف ، سلسلة ذخائر العرب رقم (٧٥) ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٩٥م ، ٢٠٧/١.
(١٥٩) ابن ماجة : سُنَنُ ابْن مَاجَة ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، د . ت ، كتاب (الزهد) ، باب (ذِكْر التوبة) ، رقم الحديث (٤٢٥٠) ، ١٤١٩/٢ – ١٤٢٠ .
(١٦٠) ابن عبد رَبِّه الأندلسيّ : ديوان ابن عبد ربه ، ص ٦٣ .
(١٦١) أبو إسحاق الإلبيري : ديوان أبي إسحاق الإلبيري ، ص ٥٥ .
(١٦٢) المصدر السابق ، ص ٥٠ .
(١٦٣) القاضي عياض : الغُنْيَة ، ص ٨٧ .
(١٦٤) ابْن الصَّبَّاغ : ديوان ابن الصَّبَّاغ الجُذَامِيّ ، ص ٨١ .
(١٦٥) مرج الكُحْل : مرج الكُحْل الأندلسي ؛ سيرته وشعره ، تحقيق صلاح جرار ، دار البشير ، عمّان ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م ، ص ١٣٣ .
(١٦٦) ابن جابر : ديوان المديح النبوي وديوان نَفَائِس المِنَح وعَرَائِس المِدَح ، ص ٣٢٣ .
(١٦٧) البسطي : ديوان عبد الكريم القيسي الأندلسي ، ص ٤٦٣ .
(١٦٨) أبو إسحاق الإلبيري : ديوان أبي إسحاق الإلبيري ، ص ١٠٣ .
(١٦٩) ابْن الصَّبَّاغ : ديوان ابن الصَّبَّاغ الجُذَامِيّ ، ص ٤٨ .
(١٧٠) المقَّرِيّ : نَفْح الطِّيب ، ٣١٦/٤ .
(١٧١) السِّلَفيّ : مُعْجَم السَّفَر ، تحقيق عَبْد الله عُمَر البَارُودِيّ ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م ، ص ٣٣٣.
(١٧٢) أبو حَيَّان الأندلسيّ : ديوان أبي حَيَّان الأندلسيّ ، ص ٣٢٥ – ٣٢٦ .
(١٧٣) البسطي : ديوان عبد الكريم القيسي الأندلسي ، ص ٣٣٨ .
(١٧٤) المصدر السابق ، ص ٣٠ .

(١٧٥) أبو إسحاق الإلبيري : ديوان أبي إسحاق الإلبيري ، ص ١١٥ .
(١٧٦) ابن خفاجة : ديوان ابن خفاجة ، ص ١٦٢ .
(١٧٧) أبو الربيع سُليمَان المُوحِّدِي : ديوان الأمير أبي الربيع سليمان بن عبد الله الموحدي ، ص ١٥٨ .
(١٧٨) ابن الخَطِيب : الإحَاطَة ، ٣٥٩/٤ .
(١٧٩) ابْن الصَّبَّاغ : ديوان ابن الصَّبَّاغ الجُذَامِيّ ، ص ٧٦ .
(١٨٠) ابن الخَطِيب : دِيوَان لِسَان الدِّين بْن الخَطِيب السَّلْمَانِي ، ٢٢٧/١ – ٢٢٨ .
(١٨١) ابن جابر : ديوان المديح النبوي وديوان نَفَائِس المِنَح وعَرَائِس المِدَح ، ص ٣٧٩ .
(١٨٢) البسطي : ديوان عبد الكريم القيسي الأندلسي ، ص ٣٥٨ .
(١٨٣) أبو إسحاق الإلبيري : ديوان أبي إسحاق الإلبيري ، ص ١٠٦ .
(١٨٤) ابن حمديس : ديوان ابن حمديس ، ص ٥٦٠ .
(١٨٥) المصدر السابق ، ص ٥٣٠ .
(١٨٦) أمية بن أبي الصلت الداني : ديوان الحَكِيم أَبِي الصَّلْت أُمَيَّة بْن عَبْد العَزِيز الدَّانِي ، ص ١١٥ .
(١٨٧) ابن الأَبَّار : التَّكْمِلَة لِكِتَاب الصِّلَة ، ٧٣/١ .
(١٨٨) المقَّرِيّ : نَفْح الطِّيب ، ٤٩٤/٢ .
(١٨٩) ابن الخَطِيب : الإحاطة ، ٧٤/١ .
(١٩٠) المقَّرِيّ : نَفْح الطِّيب ، ٦٨٨/٢ .
(١٩١) ابن جابر : ديوان المديح النبوي وديوان نَفَائِس المِنَح وعَرَائِس المِدَح ، ص ٤٨٢ .
(١٩٢) أبو إسحاق الإلبيري : ديوان أبي إسحاق الإلبيري ، ص ٥٢ .
(١٩٣) المقَّرِيّ : نَفْح الطِّيب ، ٢٩/٤ .
(١٩٤) ابن قيم الجوزية : الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ، ص ٢١٩ .
(١٩٥) صاحب أبو جناح : ابن السيد البطليوسي (حياته – منهجه في النحو واللغة – شعره) ، مجلة المورد ، وزارة الثقافة والإعلام ، الجمهوريَّة العراقيَّة ، المجلد السادس ، العدد الأول ، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م ، ص ١٠٩ - ١١٠.
(١٩٦) صفوان التجيبي المُرْسِي : زَاد المُسَافِر وغُرَّة مُحَيَّا الأدب السَّافِر ، نشر عبد القادر محداد ، دار الرائد العربي ، بيروت ، ١٣٥٨هـ - ١٩٣٩م ، ص ١١٦ .
(١٩٧) ابن الخَطِيب : الإحاطة ، ١٥٠/٢ .

(١٩٨) حَازِم القَرْطَاجَنِّيّ : ديوان حازم القرطاجني ، ص ١٠٢ .
(١٩٩) ابن جابر : ديوان المديح النبوي وديوان نَفَائِس المِنَح وعَرَائِس المِدَح ، ص ٣٦٥ .
(٢٠٠) البسطي : ديوان عبد الكريم القيسي الأندلسي ، ص ٤١١ .
(٢٠١) إبراهيم محمد منصور : الشعر والتصوف ؛ الأثر الصوفي في الشعر العربي المعاصر، دار الأمين للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط١، ١٩٩٩م ، ص٧٠ .
(٢٠٢) ابْن الصَّبَّاغ : ديوان ابن الصَّبَّاغ الجُذَامِيّ ، ص ٩٣ .
(٢٠٣) المصدر السابق ، ص ٦ .
(٢٠٤) ابن الخَطِيب : الإحاطة ، ١٠٦/٣ .
(٢٠٥) ابن جابر : ديوان المديح النبوي وديوان نَفَائِس المِنَح وعَرَائِس المِدَح ، ص ٣١٢ .
(٢٠٦) عبد الحكيم حسان : التصوف في الشعر العربي ؛ نشأته وتطوره حتى آخر القرن الثالث الهجري ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط ٢، ٢٠٠٣م ، ص٢٦٠- ٢٦١.
(٢٠٧) ابن محمد المالكي : رياض النفوس ، ٥٤٠/١ .
(٢٠٨) ابن حزم الأَنْدَلُسِيّ : طوق الحمامة ، ص ٦٤ .
(٢٠٩) ابن بَسَّام : الذَّخِيرَة ، ١٠٣/١/٢ .
(٢١٠) المقَّرِيّ : نَفْح الطِّيب ، ٦٣٤/٢ .
(٢١١) أبو الربيع سُلَيمَان المُوحِّدِي : ديوان الأمير أبي الربيع سليمان بن عبد الله الموحدي ، ص ١٥٣ .
(٢١٢) البسطي : ديوان عبد الكريم القيسي الأندلسي ، ص ٤٠٧ .
(٢١٣) الضَّبِيّ : بُغْيَة المُلْتَمِس ،١٢٠/١.
(٢١٤) أبو إسحاق الإلبيري : ديوان أبي إسحاق الإلبيري ، ص ٥٢ .
(٢١٥) المصدر السابق ، ص ٤٢ .
(٢١٦) المقَّرِيّ : نَفْح الطِّيب ، ٢٨/٤ .
(٢١٧) ابن بَسَّام : الذَّخِيرَة ، ١٠٣/١/٢ .
(٢١٨) المُعْتَمِد بن عَبَّاد : ديوان المُعْتَمِد بن عَبَّاد ؛ ملك إشبيلية ، تحقيق حامد عبد المجيد وأحمد أحمد بدوي ، راجعه طه حسين ، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة ، ط٤ ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م ، ص ٩٣ .
(٢١٩) ابن بَسَّام : الذَّخِيرَة ، ٧٢١/٢/٢ .

(٢٢٠) المقَّرِيّ : أزهار الرياض في أخبار عياض ، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ شلبي ، المعهد الخليفي للأبحاث المغربية ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٣٥٨هـ - ١٩٣٩م ، ٣٧٤/٢ .

(٢٢١) ابن جابر : ديوان المديح النبوي وديوان نَفَائِس المِنَح وعَرَائِس المِدَح ، ص ١٧٢ .

(٢٢٢) الغزال : شعر يحيى بن حكم الغَزَال ، ص ٢١٣ .

(٢٢٣) المقَّرِيّ : نَفْح الطِّيب ، ١٣٩/٢ .

(٢٢٤) ابن حمديس : ديوان ابن حمديس ، ص ٤٧٧ .

(٢٢٥) المقَّرِيّ : نَفْح الطِّيب ، ١١٤/٤ .

(٢٢٦) المصدر السابق ، ١٧/٥ .

(٢٢٧) المصدر نفسه ، ٥٦٤/٥ .

(٢٢٨) حسن محمد الشرقاوي : ألفاظ الصوفية ومعانيها ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ط ٢، ١٩٨٣م ، ص١١٥.

(٢٢٩) صَفْوَان التُّجِيبِيّ : ديوان صَفْوَان التُّجِيبِيّ ، ضمن كتاب (من ديوان الشعر العربي : ديوان أبي مِحْجَن الثَّقَفِي ، ديوان صفوان التجيبي ، ديوان ابن مرج الكحل) ، جمع وتحقيق ودراسة محمَّد سَالمان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٧م ، ص ١٨٦ .

(٢٣٠) ابن الجَنَّان الأَنْصَارِيّ : ديوان ابن الجَنَّان الأَنْصَارِيّ الأَنْدَلُسِيّ ، ص ١٥٥ – ١٥٦ .

(٢٣١) ابن جابر : ديوان المديح النبوي وديوان نَفَائِس المِنَح وعَرَائِس المِدَح ، ص ٤٥٣ .

(٢٣٢) المصدر السابق ، ص ٩١ .

(٢٣٣) البسطي : ديوان عبد الكريم القيسي الأندلسي ، ص ٣١ .

(٢٣٤) ابْن الصَّبَّاغ : ديوان ابن الصَّبَّاغ الجُذَامِيّ ، ص ٢٢ .

(٢٣٥) المصدر السابق ، ص ٧٦ .

(٢٣٦) ابن جابر : ديوان المديح النبوي وديوان نَفَائِس المِنَح وعَرَائِس المِدَح ، ص ٥٠٤ .

(٢٣٧) المصدر السابق ، ص ٢٩٢ .

(٢٣٨) المقَّرِيّ : نَفْح الطِّيب ، ٥١١/٦ - ٥١٢ .

(٢٣٩) ابن زَمْرَك : ديوان ابن زَمْرَك الأندلسي ، ص ٣٧٨ .

(٢٤٠) ابْن الصَّبَّاغ : ديوان ابن الصَّبَّاغ الجُذَامِيّ ، ص ٥ .

(٢٤١) المصدر السابق ، ص ٦٦ .
(٢٤٢) ابن الخَطِيب : دِيوَان لِسَان الدِّين بْن الخَطِيب السَّلْمَانِي ، ٣٥٢/١ .
(٢٤٣) ابن جابر : ديوان المديح النبوي وديوان نَفَائِس المِنَح وعَرَائِس المِدَح ، ص ٣٦٧ .
(٢٤٤) المصدر السابق ، ص ٤٣٤ .

المَصَادِرُ والمَرَاجِعُ

أولا : المَصَادِر :

*** ابن الأَبَّار القُضَاعيّ – أَبُو عَبْد الله مُحَمَّد بْن عَبْد الله بْن أَبِي بَكْر البلنسيّ (ت٦٥٨هـ):**

١– التَّكْمِلَة لِكِتَاب الصِّلَة ، تحقيق عبد السلام الهراس ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م .

٢– تُحْفَة القَادِم ، أعاد بناءه وعَلَّقَ عليه إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م .

٣– الحُلَّة السِّيَرَاء ، تحقيق حسين مؤنس ، ذخائر العرب (٥٨) ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٨٥م .

*** ابن بَسَّام الشَّنْتَرِينيّ – أبو الحسن عليّ (ت٥٤٢هـ) :**

٤– الذَّخِيرَة في محاسن أهل الجَزِيرَة ، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ط١ ، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م .

*** ابْن جَابِر الأَنْدَلُسِيّ – شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عليّ (ت٧٨٠هـ) :**

٥– ديوان المديح النبوي وديوان نَفَائِس المِنَح وعَرَائِس المِدَح ، تحقيق محمد طيب خطاب ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط١ ، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م .

*** ابن الجَنَّان الأَنْصَارِيّ – أبو عبد الله محمد (ت نحو ٦٥٥هـ) :**

٦– ديوان ابن الجَنَّان الأَنْصَارِيّ الأَنْدَلُسِيّ ؛ شاعر المديح النبوي بالأندلس في القرن السابع الهجري ، جمع وتحقيق ودراسة مُنْجِد مُصْطَفَى بَهْجَت ، كلية الآداب ، جامعة المَوصِل ، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م .

*** ابن حَزْم الأَنْدَلُسِيّ – أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت٤٥٦هـ) :**

٧– طَوق الحَمَامة في الألفة والألاف ، مكتبة عرفة ، دمشق ، ١٣٤٩ هـ – ١٩٣١م .

٨– ديوان الإمام ابن حزم الظاهريّ ، جمع وتحقيق ودراسة صبحي رشاد عبد الكريم ، دار الصحابة للتراث ، طنطا ، ط١ ، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م .

*** ابن حَمْدِيس الصَّقَلِيّ – أبو مُحَمَّد عَبْد الجَبَّار بْن أَبِي بَكْر بْن حَمْدِيس (ت ٥٢٧هـ) :**

٩- ديوان ابن حَمْدِيس ، صححه وقدم له إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م .

*** ابن حَنْبَل - أبو عبد الله أحمد بن محمد (ت٢٤١هـ) :**

١٠- مسند الإمام أحمد بن حنبل ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، عادل مرشد ، وآخرون ، إشراف عبد الله بن عبد المحسن التركي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م .

*** ابن خَاقَان - أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله القيسيّ الإشبيليّ (ت٥٣٥هـ) :**

١١- قَلائِدُ العِقْيَانِ وَمَحَاسِنُ الأَعْيَانِ ، حَقَّقَهُ وعَلَّق عليه حسين يُوسُف خريُوش ، مكتبة المنار ، الأردن ، ط١ ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .

١٢- مَطْمَح الأَنْفُس وَمَسْرَح التَّأَنُّس فِي مُلَح أَهْلِ الأَنْدَلُس ، دراسة وتحقيق محمد على شوابكة ، منشورات دار عمار ومؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

***ابن الخَطِيب - لِسَان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد السَّلْمَانِيّ (ت٧٧٦هـ):**

١٣- دِيوَان لِسَان الدِّين بْن الخَطِيب السَّلْمَانِي ، تحقيق محمد مفتاح ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، ط١ ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .

١٤- الإِحَاطَةُ فِي أَخْبَارِ غَرْنَاطَة ، شرحه وضبطه وقَدَّمَ له يوسف علي طويل ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م .

١٥- الكَتِيبَة الكَامِنَة فِي مَنْ لَقِينَاُه بِالأَنْدَلُس مِنْ شُعَرَاءِ المِائَة الثَّامِنَة ، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٣م .

١٦- تاريخ إسبانيا الإسلامية أو كتاب أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام ، تحقيق وتعليق ليفي بروفنسال ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١ ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م .

*** ابن خَفَاجَة - أبو إسحاق إبراهيم (ت٥٣٣هـ) :**

١٧- ديوان ابن خَفَاجَة ، تحقيق السيد مصطفى غازي ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م .

*** ابن دِحْية الكَلْبِيّ – أبو الخطاب عمر بن الحسن بن علي بن محمد (ت٦٣٣هـ):**

١٨– المُطْرِب مِنْ أشعار أهل المغرب ، تحقيق إبراهيم الإبياري وحامد عبد المجيد وأحمد أحمد بدوي ، راجعه طه حسين ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، ١٩٥٤م .

*** ابن رَشِيق القَيرَوَانِيّ – أبو عليّ الحسن (ت٤٥٦هـ) :**

١٩– ديوان ابن رَشِيق القَيرَوَانِيّ ، جمعه ورَتَّبَهُ عبد الرحمن ياغي ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م .

*** ابن الزَّقَّاق البَلَنْسِيّ – علاء الدين أبو الحسن عليّ بن عطية بن مُطَرِّف (ت٥٣٠هـ) :**

٢٠– ديوان ابن الزَّقَاق البَلَنْسِيّ ، تحقيق عفيفة محمود ديراني ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م .

*** ابن زَمْرَك – أَبُو عَبْد الله مُحَمَّد بْن يُوسُف الصَّرِيحِيّ (ت بعد ٧٩٧هـ) :**

٢١– ديوان ابن زَمْرَك الأندلسي ، تحقيق محمد توفيق النيفر ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م .

*** ابن سارة الشَّنْتَرِينيّ – أبو محمد عبد الله بن محمد (ت٥١٧هـ) :**

٢٢– ابن سارة الأندلسي ؛ حياته وشعره ، مصطفى عوض الكريم ، مطبعة مصر ، السودان ، ١٩٨٥م .

*** ابن الصَّبَّاغ الجُذَامِيّ – أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت بعد سنة ٦٤٧هـ):**

٢٣– ديوان ابن الصَّبَّاغ الجُذَامِيّ ، تحقيق محمد زكريا عنانى وأنور السنوسى ، دار الأمين للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٩م .

*** ابن عبد رَبِّه الأندلسيّ – أبو عمر أحمد بن محمد (ت٣٢٨هـ) :**

٢٤– ديوان ابن عبد ربه ، جمعه وحققه وشرحه محمد رضوان الداية ، المكتبة الأندلسية (١٠) ، دار الفكر ، دمشق ، سورية ، ط٢ ، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م .

*** ابن عَبْد المَلِك الأنصاريّ الأوسيّ المَرَّاكُشِيّ – أبو عبد الله محمد (ت٧٠٣هـ) :**

٢٥- السِّفْر الخَامِس مِنْ كِتَابِ الذَّيلِ والتَّكْمِلَة لكتابي الموصول والصلة ، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ١٩٦٥م .

*** ابن عِذَارِي المَرَّاكُشِيّ – أبو العباس أحمد بن محمد (ت بعد ٧١٢هـ) :**

٢٦- البَيَان المُغْرِب فِي أخبار الأندلس والمَغْرِب ، قسم الموحدين ، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني ومحمد بن تاويت ومحمد زنيبر وعبد القادر زمامة ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، الدار البيضاء ، ط١، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٥م .

٢٧- البَيَان المُغْرِب فِي أخبار الأندلس والمَغْرِب ، تحقيق ومراجعة ج . س . كولان وإ. ليڤي پروڤنسال ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ط٥ ، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م .

*** ابن فُرْكُون القَيسِيّ – أبو الحسين بن أحمد بن سليمان بن هشام القرشي (ت ق ٩هـ) :**

٢٨- ديوان ابن فُرْكُون ، تقديم وتعليق محمد بن شريفة ، سلسلة التراث ، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية ، الرباط ، ط١ ، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م .

*** ابن القاضي المِكْنَاسِي – أبو العباس أحمد بن مُحَمَّد (ت١٠٢٥هـ) :**

٢٩- جُذْوَة الاقْتِبَاسِ فِي ذِكْرِ مَنْ حَلَّ مِنَ الأَعْلامِ مَدِينَة فَاس ، دار المنصور للطباعة والوراقة ، الرباط ، ١٩٧٣م .

*** ابن قَيِّم الجَوزِيَّة – شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ت٧٥١هـ) :**

٣٠- الجَوَابُ الكَافِي لِمَنْ سَأَلَ عَنِ الدَّوَاءِ الشَّافِي ، أو الداء والدواء ، خَرَّجَ أَحَادِيثه وحَقَّقَهَا عمرو عبد المنعم سليم ، مكتبة ابن تَيمِيَّة ، القاهرة ، مكتبة العِلْم ، جدة ، ط١ ، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م .

*** ابن ماجة – أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت٢٧٥هـ) :**

٣١- سُنَنُ ابْن مَاجَة ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، د . ت .

*** ابن محمد المالكي – أبو بكر عبد الله (ت٤٤٤هـ) :**

٣٢- رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم ، تحقيق بشير البكوش ، مراجعة

محمد العروسي المطوي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط٢ ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤م .

*** ابن المُرَحَّل – أَبُو الحَكَم مَالِك بْن عَبْد الرَّحْمَن بْن عَلِيّ بْن عَبْد الرَّحْمَن (ت٦٩٩هـ) :**

٣٣- مالك بن المُرَحَّل ؛ أديب العُدْوَتَينِ ؛ دراسة تحليلية في أخباره وآثاره ، وتحقيق نصوصه الأدبية الباقية ، تحقيق محمد مسعود جبران ، المجمع الثقافي ، أبو ظبي ، الإمارات العربية المتحدة ، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م .

*** أبو إسحاق الإلبيري – إبراهيم بن مسعود بن سعد التُّجيبي (ت٤٦٠هـ) :**

٣٤- ديوان أبي إسحاق الإلبيري ، حققه وشرحه واستدرك فائته محمد رضوان الداية ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، لبنان ، دار الفكر، دمشق ، سورية ، ط١ ،١٤١١هـ -١٩٩١م .

*** الأعمى التطيليّ – أبو جعفر أحمد بن عبد الله بن أبي هريرة (ت٥٢٥هـ) :**

٣٥- ديوان الأعمى التطيلي ، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .

*** أمية بن أبي الصلت بن عبد العزيز الداني (ت٥٢٩هـ) :**

٣٦- ديوان الحَكِيم أَبِي الصَّلْت أُمَيَّة بْن عَبْد العَزِيز الدَّانِي ، جمع وتحقيق وتقديم محمد المرزوقي ، دار الكتب الشرقية ، تونس ، ١٩٧٤م .

*** البسطي – عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم القيسي (ت في أواخر ق ٩ هـ) :**

٣٧- ديوان عبد الكريم القيسي الأندلسي ، تحقيق جمعة شيخة ومحمد الهادي الطرابلسي ، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات (بيت الحكمة) ، تونس ، ١٩٨٨م .

*** بَكْر بْن حَمَّاد التَّاهرتيّ (ت٢٩٦هـ) :**

٣٨- الدُّرُّ الوَقَّاد مِنْ شِعْرِ بَكْرِ بْن حَمَّاد التاهرتي ، تقديم وجمع وشرح محمد بن رمضان شاوش ، المطبعة العلوية ، مستغانم ، الجزائر ، ط١ ، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م .

*** التِّرْمِذِيّ – أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت٢٧٩هـ) :**

٣٩- سُنَن التِّرْمِذِيّ ، تحقيق إبراهيم عطوة عوض ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، ط٢ ، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م .

*** حَازِمُ القَرْطَاجَنِّيّ - أَبُو الحَسَن حَازِم بْن مُحَمَّد (ت٦٨٤هـ):**

٤٠- ديوان حازم القَرْطَاجَنِّيّ ، تحقيق عُثْمَان الكَعَّاك ، المكتبة الأندلسية (٩) ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ١٩٦٤م .

*** الحِمْيَرِيّ - أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت في أواخر القرن التاسع الهجري) :**

٤١- الرَّوض المِعْطَار فِي خَبَرِ الأَقْطَارِ ، تحقيق إحسان عباس ، مؤسسة ناصر الثقافية ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٠م .

*** أبو حَيَّان الأندلسيّ - أثير الدين مُحَمَّد بن يُوسُف بْن عَلِي بْن يُوسُف (ت٧٤٥هـ) :**

٤٢- ديوان أبي حَيَّان الأندلسيّ ، تحقيق أحمد مطلوب وخديجة الحديثي ، مطبعة العاني ، بغداد ، ط١ ، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م .

*** الدباغ - أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن علي بن عبد الله الأنصاري (ت ٦٩٩ هـ) :**

٤٣- معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ، أكمله وعَلَّقَ عليه أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن ناجي التَّنُّوخِيّ ، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور ، محمد ماضور ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، المكتبة العتيقة ، تونس ، ١٩٧٢م .

*** أبو الربيع سُليمَان المُوحِّدِي - سليمان بن عبد الله بن عبد المؤمن (ت٦٠٤هـ) :**

٤٤- ديوان الأمير أبي الربيع سليمان بن عبد الله الموحدي ، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي وآخرون ، منشورات كلية الآداب ، جامعة محمد الخامس ، تطوان ، المغرب ، د . ت .

*** الرُّصَافِيّ البَلَنْسِيّ - أبو عبد الله مُحَمَّد بْن غَالِب (ت٥٧٢هـ) :**

٤٥- ديوان الرصافي البلنسي ، جمعه وقَدَّمَ له إحسان عباس ، الشعر ديوان العرب (٣) ، دار الشروق ، بيروت ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

*** أَبُو زَيد الفَازَازِي - عَبْد الرَّحْمَن بْن يخلفتن بْن أَحْمَد (ت٦٢٧هـ) :**

٤٦- آثار أبي زيد الفازازي الأندلسي ، نصوص أدبية من القرن الهجري السابع ، جمعها بعض تلاميذه في حياته ، تقديم وتحقيق عبد الحميد عبد الله الهرامة ، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، دمشق ، ط١ ، ١٤١٢ هـ - ١٩٩١م .

*** السِّلَفِيّ - صَدْر الدِّين أبو طَاهِر أَحْمَد بْن مُحَمَّد (ت٥٧٦هـ) :**

٤٧- مُعْجَم السَّفَر ، تحقيق عَبْد الله عُمَر البَارُودِيّ ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م .

*** السُّمَيسِر - أَبُو القَاسِم خَلَف بن فَرَج الإِلْبِيرِيّ (ت بعد ٤٨٨هـ) :**

٤٨- ديوان السميسر ، ضمن كتاب (شعراء أندلسيون منسيون) ، فوزي عيسى ، من تراثنا الشعري (٩) ، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري ، الكويت ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، الإسكندرية ، ط١٠ ، ٢٠٠٩م .

*** السِّيُوطِيّ - جَلال الدِّين عَبْد الرَّحْمَن بن أبي بكر (ت٩١١هـ) :**

٤٩- بُغْيَةُ الوُعَاةِ فِي طَبَقَاتِ اللُّغَوِيِينَ وَالنُّحَاة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر ، دمشق ، سورية ، ط٢ ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

*** الصَفَدِيّ - صَلاح الدِّين خَلِيل بن أَيبك (ت٧٦٤هـ) :**

٥٠- الوَافِي بالوَفَيَاتِ ، تحقيق واعتناء أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م .

*** صفوان التجيبيّ المرسيّ - أبو بحر صفوان بن إدريس (ت٥٩٨هـ) :**

٥١- زَاد المُسَافِر وغُرَّة مُحَيَّا الأدب السَّافِر ، نشر عبد القادر محداد ، دار الرائد العربي ، بيروت ، ١٣٥٨هـ - ١٩٣٩م .

٥٢- ديوان صَفْوَان التُّجِيبِيّ ، ضمن كتاب (من ديوان الشعر العربي : ديوان أبي مِحْجَن الثَّقَفِي ، ديوان صفوان التجيبي ، ديوان ابن مرج الكحل) ، جمع وتحقيق ودراسة محمَّد سَالمان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٧م .

*** الضَّبِيّ - أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة (ت٥٩٩هـ) :**

٥٣- بُغْيَة المُلْتَمِس في تاريخ رجال أهل الأندلس ، المكتبة الأندلسية (١٤) ، تحقيق إبراهيم الإبياري ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م .

*** أبو عبد الله بن عسكر(ت٦٣٦هـ) وأبو بكر بن خميس (ت بعد٦٣٩هـ) :**

٥٤- أعلام مَالَقَة ، تقديم وتخريج وتعليق عبد الله المرابط الترغي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، دار الأمان للنشر والتوزيع ، زنقة المامونية ، الرباط ، ط١ ، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م .

*** العِمَاد الأَصْفَهَانِيّ - أبو عبد الله محمد بن محمد بن عليّ (ت٥٩٧هـ) :**

٥٥- خَرِيدَة القَصْر وجَرِيدَة العَصْر ، قسم شعراء المغرب ، تحقيق محمد المرزوقي ومحمد العروسي المطوي والجيلاني بن الحاج يحيى، الدار التونسية للنشر ، تونس، ط٣ ،١٩٨٦م .

٥٦- خَرِيدَة القَصْر وجَرِيدَة العَصْر ، قسم شعراء المغرب والأندلس ، تحقيق آذرتاش آذرنوش ، نقحه وزاد عليه محمد المرزوقي ومحمد العروسي المطوي والجيلاني بن الحاج يحيى ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، ط٢ ، ١٩٨٦م .

*** الغَزَال - يَحْيَى بْن حَكَم البَكْرِيّ الجَيَّانِيّ (ت٢٥٥هـ) :**

٥٧- شعر يَحْيَى بن حَكَم الغَزَال ، جمع وتوثيق ودراسة علي الغريب محمد الشناوي ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٤م .

*** القاضي عياض - أَبُو الفَضْل عِيَاض بْن مُوسَى السَّبْتِيّ (ت٥٤٤هـ) :**

٥٨- الغُنْيَة ؛ فهرست شُيُوخ القَاضِي عِيَاض ، تحقيق ماهر زُهِير جَرَّار ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .

*** القُشَيرِيّ - أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن (ت٤٦٥هـ):**

٥٩- الرسالة القشيرية ، تحقيق عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف ، سلسلة ذخائر العرب رقم (٧٥) ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٩٥م .

*** مرج الكحل - أبو عبد الله محمد بن إدريس بن علي (ت٦٣٤هـ) :**

٦٠- مرج الكحل الأندلسي ؛ سيرته وشعره ، تحقيق صلاح جرار، دار البشير، عمّان ،١٩٩٣م.

*** المعتمد بن عباد - أبو القاسم محمد بن عباد (ت٤٨٨هـ) :**

٦١- ديوان المعتمد بن عباد ؛ ملك إشبيلية ، تحقيق حامد عبد المجيد وأحمد أحمد بدوي ، راجعه طه حسين ، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة ، ط٤ ، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م .

*** المقَّرِيّ التِّلِمْسَانِيّ – أبو العباس أحمد بن محمد (ت١٠٤١هـ) :**

٦٢- نَفْحُ الطِّيبِ مِنْ غُصْنِ الأَنْدَلُسِ الرَّطِيبِ ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م .

٦٣- أَزْهَارُ الرِّيَاضِ فِي أَخْبَار عِيَاضِ ، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ شلبي ، المعهد الخليفي للأبحاث المغربية ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٣٥٨هـ – ١٩٣٩م .

*** أبو نعيم الأصفهاني – أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى (ت٤٣٠هـ) :**

٦٤- حُلْيَة الأَوْلِيَاء وطَبَقَات الأَصْفِيَاء ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٩هـ –١٩٨٩م .

ثانيًا : المَرَاجِعُ العَرَبِيَّة :

*** إبراهيم محمد منصور :**

٦٥- الشعر والتصوف ؛ الأثر الصوفي في الشعر العربي المعاصر، دار الأمين للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط١، ١٩٩٩م .

*** أحمد عزت راجح :**

٦٦- الأمراض النفسية والعقلية ؛ أسبابها وعلاجها وآثارها الاجتماعية ، دار المعارف ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٦٤م .

٦٧- أصول علم النفس ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، ط٧ مزيدة منقحة ، ١٩٦٨م .

*** جميل صليبا :**

٦٨- المُعْجَمُ الفَلْسَفِيّ ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، لبنان ، مكتبة المدرسة ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٩٨٢م .

*** حسن مصطفى عبد المعطي ، هدى محمد قناوي :**

٦٩- علم نفس النمو ، دار قباء للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ٢٠٠١م .

*** حسن محمد الشرقاوي :**

٧٠- ألفاظ الصوفية ومعانيها ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ط ٢، ١٩٨٣م .

* **عادل عبد الله :**

٧١- اتجاهات نظرية في سيكولوجية نمو الطفل والمراهق ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٩١م .

* **عبد الحكيم حسان :**

٧٢- التصوف في الشعر العربي؛ نشأته وتطوره حتى آخر القرن الثالث الهجري ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط ٢، ٢٠٠٣م .

* **عبد الرحمن بدوي :**

٧٣- الزمان الوجودي ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ١٩٧٣م .

ثالثًا : المَرَاجِعُ الأَجْنَبِيَّة المُتَرْجَمَة :

* **بيريس ، هنري :**

٧٤- الشعر الأندلسي في عصر الطوائف ؛ ملامحه العامة وموضوعاته الرئيسية وقيمته التوثيقية ، ترجمة الطاهر أحمد مكي ، دار المعارف ، القاهرة، ط١ ، ١٤٠٨هـ -١٩٨٨م .

* **فرويد ، سيجموند :**

٧٥- الأَنَا والهُوَ ، ترجمة محمد عثمان نجاتي ، دار الشروق ، بيروت ، ط٤ ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .

٧٦- الكَفّ والعَرَض والقَلَق ، ترجمة محمد عثمان نجاتي ، دار الشروق ، القاهرة ، ط٤ ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .

* **لابلانش ، جان وبونتاليس ، ج . ب . :**

٧٧- معجم مصطلحات التحليل النفسي ، ترجمة مصطفى حجازي ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط٢ منقحة ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

* **لازاروس ، ريتشارد :**

٧٨- الشخصية ، ترجمة سيد محمد غنيم ومحمد عثمان نجاتي ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، بغداد ،١٩٨١م.

* **مجموعة مؤلفين :**

٧٩- نَظَرِيَّات التَّعَلُّم ؛ دراسة مقارنة ، ترجمة علي حسين حجاج ، مراجعة عطية محمود هنا ، سلسلة عالم المعرفة (١٠٨) ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، ديسمبر ١٩٨٦م .

رابعًا : الدَّورِيَّات :

*** حسان محمد عبد العزيز :**

٨٠- الشعور بالذنب وعلاقته باضطراب الشخصية الوسواسية القهرية ؛ دراسة ميدانية على عينة من العاملين في مجال الدعم النفسي والخدمة الاجتماعية في مدينة حمص عام ٢٠١٦م ، مجلة جامعة البعث ، حمص ، سورية ، المجلد (٨٣) ، العدد (١٥) ، ٢٠١٦م

*** دانيا الشبؤون :**

٨١- الشعور بالذنب وعلاقته بالشعور بالخزي عند المراهقين ؛ دراسة ميدانية لدى تلاميذ الصف التاسع من التعليم الأساسي في مدارس مدينة دمشق الرسمية ، مجلة جامعة دمشق ، دمشق ، المجلد (٢٧) ، ملحق٢٠١١م.

*** صاحب أبو جناح :**

٨٢- ابن السِّيد البَطَلْيُوسِيّ (حياته – منهجه في النحو واللغة – شعره) ، مجلة المورد ، وزارة الثقافة والإعلام ، الجمهوريَّة العراقيَّة ، المجلد السادس ،العدد الأول ، ١٣٩٧هـ – ١٩٧٧م.

*** قاسم حسين صالح :**

٨٣- الشعور بالذنب وعلاقته بالأمراض النفسجسمية ، مجلة الإنسان والمجتمع ، الجمعية النفسية العراقية ، الجمهورية العراقية ، العدد (٢٠٥) ، ٢٠٠٤م .

خَامِسًا: الرسائل الجامعية :

*** زينب سليم متولى حسن :**

٨٤- دراسة بعض المتغيرات المرتبطة بالأمن النفسي لدي أطفال ما قبل المدرسة ، رسالة ماجستير ، معهد الدراسات العليا للطفولة ، جامعة عين شمس ، ١٩٩٨م .

*** فاطمة تناح :**

٨٥- الشعور بالذنب لدى اضطراب الشخصية السيكوباتية ؛ دراسة عيادية لحالة ، مُذَكِّرَة تَخَرُّج لنيل شهادة ماستر ، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية ،

جامعة الدكتور الطاهر مولاي ، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية ، ٢٠١٨م .

سادسًا : المراجع الأجنبية :

(86) Gem, T, L &Scherer, K.R (1998): Relating situation evaluation to emotion differentiation ,1998 .

(87) Miceli, Maria, Cristiano, Castelfranch : How to Silence On’es Conscience: Cognitive Defenses Against the feeling of Guilt, Journal for the Theory of Social Behaviours,1998 .

(88)Miller, Susan : The Shame Experience, Printed in the United State of America, Published in Hillsadale, New Jersey, By The analytic Press,1993.

(89) O'conner, A. : Inter personal Guilt - the development of a new measure, Journal of clinical psychology , 1997 .

(90) Sigmund Freud , Malaise dans la civilisation, Trad , 1929 .